

المقبر

صناعة النظم والانشاء

كان الوليد ابو عبادة البصري^(١) معاصراً لحبيب بن اوس المعروف بابي تمام^(٢) وهما من اعيان امراء الكلام وكلاهما طائفي غير ان البصري ولد بعد ذلك باربعة عشر عاماً فما ترصع وبدت فيه علامت النبوغ حتى كان ابو تمام في اوج مجده وبخبوحة اشتهاره فلصق به وتخرج عليه حتى اذا نبل شعره وسار ذكره قال ابو تمام « ان شعر هذا الغلام قد نعى الي» نفسي فما اجتمع في طي شاعران مشهوران الامات اكبرهما « وقد صدقت نبوته هذه فان ابا تمام لم يعيش بعد قوله هذا اكثر من عام واحد ولقد مات عطلة وهو دون الاربعين ولو عمر حتى اكتمل كالمثنبي او حتى شاخ كالبحري لاقى بالآيات المعجزات ولا طيق الناس على كونه امير الشعر قديماً وحديثاً

^(١) ولد بمنج سنة ٢٠٤ للهجرة وتوفي بها سنة ٢٨٤ وهو الذي سئل عنه ابو تمام فقال « جده خير من جيدي ورديثي خير من رديته » وسئل ابو العلاء المعري من اشعر الثلاثة ابو تمام ام البصري ام المثنبي فقال « المثنبي وابر تمام حكيان وانما الشاعر البصري »

^(٢) ولد في قرية جاسم من ناحية الجبيل في حوران سنة ١٩٠ للهجرة وتوفي في الموصل سنة ٢٢٨ على اصح الاقوال وهو واحد الثلاثة المتفق على تقديمهم من الشعراء المحدثين والاثنان الآخران المثنبي والبصري وقيل سئل ابن الزيات وزير المعتصم من اشعر الناس ؟ قال ابو تمام حيث يقول

وما ابالي وخير القول اصدقه حقت لي ماء وجهي اوحقت دمي

وكان المجتري قد سأل يوماً أبا تمام ان يبين له الوجهة التي ينتجها في نظمته والونيرة التي يجري عليها توصلاً الى الاجادة والابداع فقال له

« يا ابا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان المادة جرت في الاوقات ان يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه وقت السحر اذ تكون النفس قد اخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم . وان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً واكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكتابة وقلق الاشواق ولوعة الفراق فاذا اخذت في مديح سيد ذي اباد فاشهر مناقبه واظهر مناصبه وابن معالمة وشرف مقامه ونقد المعاني واحذر المجهول منها واباك ان تشين شعرك بالالفاظ الرديئة . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد . واذا عارضك الضجر فارح نفسك ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الفريضة الى حسن نظمته فان الشهوة نعم المعين وجملة الحال ان تقيس شعرك وتعتبر بما سلف من شعر الماضين فما استحسن العلماء فانقصه وما يذوه فاجتنبه ترشد ان شاء الله »

قال المجتري « فأعملت نفسي فيما قال فجاد شعري وطار ذكري ووفقت الى ما اروم »

اما الخاتمي ^(١) فقد اختار الليل للنظم وحوك الكلام ذاهباً مذهب (جورج صاند) الكاتبة الفرنسية التي كانت تبدأ بكتابتها عند منتصف الليل وتنتهي منها الساعة السادسة ثم تنام الى الحادية عشرة على ما وصفه المترجمون لها . وحجة الخاتمي في ذلك ان في الليل تجم الاذهان وتنقطع الاشغال ويصح النظر وتوئف الحكمة ويتسع مجال الفكر وتلبث الخواطر . وعندنا انه مصيب واكثر رجال السياسة والتدبير واهل العلم والخيال وارباب الاختراع والابداع يفضلون الليل على النهار ويختصونه لهم من اعمالهم والصعب

^(١) هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي البغدادي المعروف بالخاتمي كان معاصراً للثني وقد اجتمع به في بغداد فساء اراء فيه من صلف وترفع وعجاب فباده بكلام الخمه به واخزاه حتى نهض الثني من مجلسه متغيظاً مجبواً ثم اسرع الرحلة من العراق نجلاً وقد آلى على نفسه ان لا يعود اليها فانشأ الخاتمي الرسالة الخاتمية المشهورة شارحاً فيها ماجرى بينه وبين الثني من اظهار سرقاته وابانة عيوب شعره فدلّت على غزارة مادته وتوفر اطلاعه وله غيرها كتاب اسمه حلية الادب في مجلدين : توفي سنة ٣٨٨ للهجرة وقد اناف على السبعين

من شؤنهم والتفكير فيما يصلح من أمورهم وبنية من اقدارهم وفيه غالباً انشاء المؤلفون الكتب وحبروا الرسائل وولدوا المعاني الحسان واودعوا اسلاك كلامهم تباهي النجوم ضياءً والدر نظاماً والروض زخرفاً وجمالاً — وان كان ذلك مدعاةً لانشاء اجسامهم واخترام اعمارهم فان السهر ولا جرم مدعاة للسقم ومدرجة للالم وقد ظالمنا عبث بالعتول قبل الاجساد فلوصل اليها الفساد — فالشاعر الماهر والكتاب المثانيق من اذا خلا الى حجرته وقد سدل الليل ستاره وسكنت ضوضاء الناس واستولت صنة النوم على اجفانهم نشط الى ما هو مبسر له من الامر وباشر عمله بعد امعان الفكرة واطالة الروية واستيحاء السليقة فيستمد من القرينة عفوها وفيضها غير مستند الى معنى لغيره بتلاعب به او قول لبعض الساب ينتحله موقناً ان الناس كافة قيمون له منتقدون لاقواله متفرغون لتزييف كلامه وتفنيد نظامه ووزن معانيه والفاظه بميزان المتعنت عليه المبرم به الطالب حجة يتذرع بها الى تنقيصه وتسويته والخط من فضله ثم يكسب وهذا التخطو نصب عينيه مائل لديه فلا يجود الا من مائه ولا يسبك الا من معدنه بلا اغتصاب ولا استكراه حتى اذا فرغ مما خبر تربص الى ان تهدأ مسورة اعجابه فيما راق له من مبتكرات معانيه ومبوكات قوافيه — وقد يجعل ان يكون تربصه هذا يوماً او اياماً — ثم يعود بعد ذلك — وقد سكنت القرينة وخلا الذهن وضح التأمل — فيراجع ما كتب مراجعة منتقد ذاته قيم على نفسه رقيب على عمله فان وجد محلاً للاصلاح اتاه او وجهاً للتهذيب والتنقيح مارسه وعاناه مخبراً اشرف الالفاظ واخفها واكثرها قرباً الى الفهم وتداولاً على الالسنه يدبجها في تضاعيف سطوره على منوال خاص واسلوب غريب يعرف به وتظهر ملكته في انقاس كلامه بحيث ينسبه القاري العارف به اليه بمجرد تلاوته ولو لم يكن معوناً باسمه ثم عرضه على من يثق به من جهابذة الاقلام لعله يرى فيه عورة فيسترها او ثلاً فيسده فمن سلك هذا المسلك الجدد من مجيدي الشعراء والكتاب امن في غالب منشأته العثار وحق له الاشتهار

تلك نصيحة تروى بها ونحرض على الجري بمقتضاها وان كنا خالفنا لها في كل منظوماتنا حتى اليوم على ما يعلمه المقتطف ونبه اليه فاننا كنا ننظم في ليلتنا القصائد المطولات ثم نبعث بها في الصباح الى عالم النشردون معاودة نظرا وتثبت وما ذلك الا اثر من آثار ضيق العطن المنبعث عن هزال الجسم وسوء الهضم اعاذ الله منها كل نائل وناثر فانهما آفة الاتقان ومحلبة التمس والمرارة والشقاء لبي الانسان وما مصدرهما فين قدر له ان

يعيش بعقله وعلمه الا الامعان في السهر وعدم الاعتدال في الدراسة منذ الصغر فليتيق الله الكتابون في اجسامهم ان لم فيجانعناهم به عظة وعبرة ان كانوا من يتديرون وهنا — والشئ بالشئ يذكر — نأتي على كلام لابي عثمان الجاحظ ^(١) : لا يخرج عما نحن في شأنه وتتوفر فيه الفائدة لمن رزقوا حظ الكتابة ولم يهتدوا الى قانون يقوي فيهم ملكة الانشاء ويعينهم على الاجادة في الصناعة فان ذلك اهم ما يحتاجه المشوقون هذه الايام بعد ان قوضت فوضى الافلام اركان البلاغة وشوهت دياجة البيان واضاعت مر التأتى في الرسل حتى زالت عنه مسحة الجمال الا في عدد نزر من اوتوا نصيبهم من سلامة الذوق والعلم والهدى الهادية في صناعتهم هذه الشريفة الى محبة الكمال فرسخت في اذهانهم قواعد التحرير والتبوير واستحكمت في صدورهم اساليب التفنن بصوغ المعنى الصحيح في قالب اللفظ الفصيح حتى استقامت لهجتهم ووضع منهاجهم وعذب بيانهم فتدجروا على منوال خاص بهم تشر به القلوب وتحنس الاذواق وتعشفه النفوس على ما فيه من السهولة والانسجام ومثانة التراكيب : قال الجاحظ

« يقول جهابذة اللفظ ونقاد المعاني واساطين البيان . المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في اذهانهم المختلجة في نفوسهم المتصلة بخواطرهم والحادثة عن افكارهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكشوفة وموجودة في معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة اخيه . وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون على امره وعلى ما لا يبلغه . من حاجت نفسه الا بغيره وانما يحجب تلك المعاني ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها . وهذه الخصال هي التي تدنيها الى الفهم وتجلبها للعقل وتجعل الخفي منها ظاهراً والنائب شاهداً والبعيد قريباً . وهي التي تلخص المثبت وتحل المنعقد وتجعل المهمل مفيداً والمتيد مطلقاً والوحشي مألوفاً وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ورقة المدخل يكون ظهور المعنى . وكلما كانت الدلالة اوضح

(١) هو ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكندي البصري الكاتب العالم المشهور صاحب التصنيفات العديدة في الادب . لقب بالجاحظ لانه كان جاحظ العينين اي بارزهما . وهو مع ذلك مشوه الخلقة قبيح المنظر حتى قال فيه الشاعر

لو يمسح الخنزير مسحاً ذكياً ما كان الا دون قبح الجاحظ

مات مغلوباً ببغداد سنة ٢٥٥ للهجرة وقد تجاوز التسعين . ومن افضل مؤلفاته كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين وله شعر قليل مقبول

وافصح وكانت الاشارة ابين وانور كانت انفع وانجع في البيان والدلالة الظاهرة على
 المعنى الخفي هو البيان الذي سمع الله يمدحه بكثابه ويدعو اليه ويحث عليه :
 بذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت اصناف المعجم
 فالبيان اسم كل شيء كشف لك عن قناع المعنى وهتك لك حجب الضمير حتى
 يقضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصولة كائناً ما كان ومن اي جنس كانت .
 والالفاظ هي التي تكشف لك عن اعيان المعاني في الجملة وعن حقائقها في التفسير
 وعمما يكون منها لغواً بهرجاء وساقطاً مطرحاً فان صح التناسب وتم التألف بين تلك
 المعاني وما تستخدمه لابرازها من الالفاظ سهل اشرابها للعقول وتجليها على الخيلات
 ودخولها الى صميم القلب والعكس بالعكس . فمن شاء ان يكون حديثاً تفرع الآذان
 نبراته او منشأً تدرج الالباب نفثاته فليلبس المعنى الدقيق اللفظ الرشيق الذي لا ينقص
 عن معناه ولا يزيد ولينين الاصول ويحذف الفصول ويحسب الحشو ويطلب حيث
 يستحب الاطناب ويوجز حيث لا يستكره الايجاز : كل ذلك يفترق الى رأي حصيف
 وفكر نقاد وخاطر جريء وذهن ذكي وذوق يحسن الاختيار وبدهة لا تعرف التلكؤ
 وحافظة تكتنز من المواد ما يستعان به على ركوب هذا المركب الوعر تقرن الى ضلعة
 في العلوم وتجر في الادب ومطالعة في آثار ائمة اهل البيان ممن نبغوا فدرجوا من قبل
 واشتمل عليهم الزمان ولقد قال ابوداود ^(١) « رأس الانشاء الطبع وعموده الدربة وجناحاه
 رواية الكلام وحليه الاعراب وبهاؤه تخير اللفظ » وقال ابن المعتز ^(٢) « العاقل يكسو المعاني
 وشي الكلام في قلبه ثم يبدئها بالفاظ كواس في احسن زينة والجاهل يستجل باظهار
 المعاني قبل العناية بتزيين معارضها واستكمال محاسنها »

ولما سئل جعفر البرمكي وزير الرشيد المشهور عن البيان قال « هو ان يحيط كلامك
 بمعناك ويكشف عن مغزاك ويخرجه عن الشركة ولا يستعان عليه بالفكرة ويكون سليماً
 من التكليف بعيداً من الضعة يريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل مع تزاخته عن الركة
 وترفعه عن اللغو وابلغ الكلام ما يطبخه مراحل العلم وصفاء راووق الفهم وضمتته دنان
 الحكمة فتمشت في المفاصل عذوبته وفي الافكار رفته وفي العقول حدته وما احسن

(١) هو العالم المحدث المعروف بالسجستاني ولد سنة ٣٠٢ للهجرة ومات في البصرة
 سنة ٣٨٥ (٢) هو عبد الله ابن المعتز احد خلفاء العباسيين المشهور له بمجودة النظم والنثر
 وسعة العلم والادب ولد سنة ٣٤٩ وقُتل سنة ٣٩٦ بعد ان تولى الخلافة يوماً واحداً

ما قال حاكم^١ اديب « الكلام ما اتصلت لحة الفاظه بسدى معانيه نخرج مفوقاً منيراً وموشى محرراً وان من البيان لسحراً »

ولقد قال غيره « البليغ من يحولك الكلام على حسب الاماني ويخطط الالفاظ على قدرد المعاني » ومن اجلى ما وصفت به البلاغة قول احد العلويين « البلاغة ايصال المعنى الى القلب بحسن صورة من اللفظ » وهو يضارع قول بعض الاعراب « البلاغة انجاز في غير عجز واطناب في غير سفسفة »

هذه هي الصناعة التي يحسبها الناس اليوم لعقة من عصيد او لقعة من ثريد فلا يكاد الصبي منهم يقرأ الا جرومية او شيئاً من شرح ابن عتيل على الفية ابن مالك ويتلقف بعض ما وجدته اخليل بن احمد في دائرة البحور من الاعاريض وقيدته اسماعيل الجوهري على بعض صفحات الصحاح من حوشي الالفاظ حتى يتربع في دست التصنيف والتأليف او يقف على منبر الامام الخطيب او يسمي نفسه بالشاعر الساحر فيملاً الدنيا صنائعاً وهو يظنه عطرأ وملاًباً اورنداً واخواناً والله الامر من قبل ومن بعد وما هو بغافل عما يهذرون « سليم عفوري »

هل اللغة العربية حية^(١)

وضع المسيو اسحاق قطان احد اعضاء المجمع العلمي القرطاجني في تونس محاضرة رد فيها على من قال ان اللغة العربية ليست من اللغات الحية وانها كانت كذلك وقد اصحبت اليوم من اللغات الميتة فاحدث كلام من اصدر هذا الحكم تأثيراً في نفوس المسلمين لان له علاقة باعز الازضاع عندهم واقدسها حيث نظرهم ونعني بها اللغة وقد ردت بعض الصحف الاسلامية على من رموا العربية بالعمى رداً لم تورد فيه برهاناً بل جعلته خيالياً وتجاوزت فيه حد المناقشة العلمية ورمت القائل وهو اوربي بالطبع بانه لا يعرف ما في العربية من الميزات والخصائص وقالت اني يتأق لغريب عنها ان يفهمها حق فهمها بيد ان صاحب هذه المحاضرة دافع عن العربية دفاعاً عالياً ورد مزاعم من يرمونها

(١) عن بنا هذه الرسالة في الشهر الذي صدرت فيه من العام الماضي فقد فقدت اصولها من المطبعة في جملة المخرات التي ضاعت عندما اُفتلت مطبعة المقتبس وعطلت هذه المخرطة والجريدة وهاتين نعر بها ثانية حرصاً على فائدتها فهذا عذرنا اصحابها

بالموت بالبرهان السديد واثبت لها الحياة مع من يثبتها لها من ابنائها الذين يكتبون بها ويكلمون فقال :

ان دعوى المليونويل بان اللغة العربية لغة مقدسة جامدة لا تتحرك وان ادنى تغيير يدخل عليها بعد خرقاً لحدودها وعبثاً بقانونها هو من الدعاوي التي يخالفها الواقع ولا ينهض عليها دليل . واني أرى علماء المشرقيات الذين يتعلمون العربية والكتاب المسيحيين في سورية ومصر ممن عنوا بها وبرزوا في آدابها منذ سنين بل والمستشرقين من المسلمين انفسهم يوافقوني على قولي ان اللغة العربية لغة سامية انتشرت اولاً في شبه جزيرة العرب ووصلت الى درجة التهذيب قبل الاسلام ببضعة قرون وملت على يد النبي واصحابه وانه مضت عليها قرون طويلة وهي زاهرة بين شعوب انتشرت بينهم الحضارة الاسلامية فنشأ لهم في العربية كتاب كثيرون من النصارى واليهود والمسلمين وانا اليوم شائعة بين الشرقيين من اهل الاسلام وغيرهم ويتفهم بها بضع مئات الالوف من البشر بينهم كثير ممن لم يدينوا بالاسلام ينزلون شمالي افريقية واواسطها وجزءاً من قارة آسيا .

نعم لا أوأخذ اذا قلت اذا كانت العربية عند معظم المسلمين لغة مقدسة لانها لغة الدين والعبادة وهي لم تبرح لارباب العقول السامية الذين ازدان بهم الاسلام والمسيحيين والامرائيليين الذين عنوا بها حق العناية منذ عهد الخلفاء الى هذا اليوم اداة بدیعة للافصاح عن الفكر والعواطف العالمية في مظاهرها المختلفة وهي من اجمل لغات البشر .

ارى انه متى أريد البحث في لغة بحثاً علمياً ان لا توصف بما يصفها به ارباب التقاليد من النخاة ولا المتعصب من المتفقه بانها لغة مقدسة غير قابلة للزيادة والنقص بل الواجب النظر الى تاريخ هذه اللغة والبحث فيما اذا كانت بقيت جامدة على صورتها الاولى حقيقة او انها نشأت ونمت كما ينمو كل تركيب نام حي .

لاجرم ان كل امرئ يدرك ان اللغات لاتحيا على يد اسانذة الكليات ولا بقتنارير النخاة ولا باحكام الحاكم واوامر الحكومات فاللغة الافرنسية لم تنم منذ عهد كولبر الى زمن بريان بهذه الطريقة بل ان العربية على ما فيها من الكتب في النحو والروض التي شرحها معلمو الجوامع لاتعد لغة ادب فكما ان الافرنسية تحيا بكتابتها المبدعين المجددين اكثر من حياتها برجالها اللغويين والباحثين في اصولها هكذا اللغة العربية عاشت طول عمرها

خارج الكليات الاسلامية بل بفضل اعمال المجددين والمترجمين والعلماء والفلاسفة والشعراء الذين كانوا سيف عصور مختلفة مع تمسكهم بقواعد النحو العربي الذي كانت الكليات مهينة عليها فهم ينفقون ما امكن موقف التوفيق بين ما يكتبون وبين اللغة التي يعجبون بها وحق لم العجب من كمالها وغناها وجمالها . ومع هذا لم ينفقوا ساعة عن تقويتها بما يحملونه اليها من الافكار الطارئة ولغات الشعوب الاخرى

واذا ابى المسيونويل الخروج من هذا القياس وادعى بان اللغة المصرية اليوم هي لغة حديثة نشأت من قطع ملققة من التقارير وليست من التقديس في شيء اي ليست اللغة العربية في معناها الحقيقي بل هي لغة صناعية وان اللغة المقدسة هي التي استعملها القرآن فقط وفيها الغريب — اذا قال بهذا فهو يحذف بقياسه من الآداب العربية كتب المؤرخين والعلماء والفلاسفة وغزل الشعراء لانها مملوءة بالمولد او انه يعتبرها من الكلام الوحشي الغير المأنوس ويقتصر بان لا يعد من الآداب العربية الا القرآن وتفسيره وما كانت هذه التفاسير يحسب زعم المسيونويل من غريب الكلام ايضاً

اما انا فلا افرط في التدقيق اكثر من عالم من علماء المسلمين بعد ان رأيت في دور المكتب اناساً من صلحاتهم ينظرون في كتب القرآن والفقه ويحاجونها تأليف كتب بالعربية الحديثة بل مترجمات لفلاسفة يونان . ولذلك اسمي باللغة والآداب العربية تلك اللغة وتلك الآداب التي اتفق جمهور المسلمين وامثال سلفستردى سامي ودرامبورغ وغولدسير وغيرهم من العلماء على تسميته بهذا الاسم .

قال المسيونويل ان اللغة الحية هي التي تخضع لنواميس الحياة اي انها تدخل فيها الجديد وتنبذ ما لا اثره نافعاً لها وهو يتجدد بعدد من شروط الحياة كالتنذية لكل تركيب نام نباتياً كان او حيوانياً

واذا كانت اللغة العربية مقدسة ولها قواعد ثابتة لا يدخلها التعديل بدور خرق حرمتها فهي لا تقبل القلب والابدال ولذلك امست من اللغات الميتة واني لا اكنفي بدحض هذه الحجة بان اورد تاريخ العربية ولكم ان تحكوا بانفسكم بان هذه اللغة لم تبرح خاضعة قبل الاسلام وبعده لنواميس الحياة . اما تاريخ اللغة العربية فيقسم الى ادوار اربعة : دور النكوت ودور المدينة الاسلامية الزاهر ودور الانحطاط والدور الحالي .

فدور النكوت يبدأ بالزمن الذي انفصلت فيه هذه اللغة عن سائر اللغات السامية

وأصبحت لغة خاصة بعد أن كانت عبارة عن لهجات كثيرة قلما تجد بينها اختلافاً كثيراً وهي وافرة بقدر ما كان يعيش من القبائل في أرض شبه جزيرة العرب . وتمدد اللهجات كان من أسباب غنى العربية بمفرداتها وانتهت الحال بعد ذلك بأن اندمجت هذه اللهجات بعضها في بعض ونسيت كلها ما عدا ثلاث لهجات كبرى ذكرها التاريخ وهي لغة اليمن والحجاز والحديثة

جاء محمد (عليه السلام) وبدأ بتوحيد بلاد العرب في سياستها ووفق اختلافه إلى تنعيم هذا المقصد فتوسعت بذلك اللغة وكانت الغلبة للغة الحجاز موطن النبي فأصبحت لغة القرآن بعد واغتنف بما دخل إليها من المفردات المستعملة عند شعوب كثيرة ممن كانوا يقصدون مكة حاجين كالهند والفرس والنبط والحبة والمصريين والاسرائيليين وغيرهم . فكانت مكة أشبه ببرج بابل ولا عجب أن سرى إلى اللغة الأدبية على ذلك العهد مزيج من لغات الأمم الأخرى

فاللغات الدخيلة التي اغتنف بها اللغة العربية اذذاك هي أسماء العقاقير الطبية وما تنتج بطون الأرض من المعادن وما يصنع في فارس والمملكة الرومانية والهند الشرقية من المصنوعات ويحمل إلى جزيرة العرب . واقتبست العربية قبل الإسلام ألفاظاً كثيرة من اللغة الهلالية كما اقتبست من العبرانية بعض ألفاظ العبادة مثل « الحج » « الكاهن » « عاشوراء » وكانت الاتصالات التجارية بين الهند وبلاد العرب سبباً في تعريب كثير من الألفاظ العسكرية ولا سيما ما كان منها خاصاً بالعطور والأشجار الثمينة . وبعد أن فتحت فارس أخذ العرب يلبسون الثياب الفارسية وادخلوا إلى لغتهم الألفاظ الدالة عليها في جملة ما أدخلها من الألفاظ « السروال » « الجبة » « القفطان » « الطربوش » « نكاح » نحو ما استعمل المسلمون الذين يكتسبون الثياب الأوروبية اليوم من الألفاظ « الجاكيت » « البتلون » « اللستيك » وأخذ عن الفرس معظم الألفاظ التي تدل على الأطعمة المختلفة والأسلحة والآلات وغيرها .

وابتداءً الدور الثاني للغة العربية وهو دور الفتح والمدنية الإسلامية بانتساب الألفاظ الدينية والقانونية والإدارية والعلمية وغير ذلك ثم بتعريب كتب اليونان والفرس والهنود فدخلت اللغة من الألفاظ مثل « الكعالة » و« الصيدلة » ثم توسعت في استعمال بعض الألفاظ لأكثر من المعنى الذي وضعت للدلالة عليه مثل « مؤمن » « مسلم » « صلاة » « زكاة » « الحضنة »

حتى اذا تمت الفتوح وانشأ المسلمون بنظمون البلاد التي خضعت لسلطانهم اخذوا من الفرس والبيزنطيين اصول اوضاعهم السياسية والادارية والقانونية والعسكرية والمالية فانتمى لهم تعابير جديدة الدلالة على هذه الوظائف الجديدة فاقتبسوا اكثرها عن الفرس والبيزنطيين مثل «الدبوان» «الجامكية» «البريد» «نشان» من الفارسية «الاسطول» «الكردوس» «البطاقة» من الرومية واخذوا مفردات عبرية وسريانية عندما ترجمت التوراة والاناجيل مثل «قربان» «جهنم» «توراة» «توبة» «تليذ» «يعوث» «آمين» بل ان قواعد النحو نفسها قد دخلها التعديل فاخذت العرب تستعمل الضمائر المستمرة للتفنن في التمييز تكثراً من استعمال صيغة المجهول وتنسب الى الروح روحاني والى النفس نفساني وتستعمل بعض الصفات في صورة استا مثل «المائية» «العامة» «الخاصة» وعلى ذلك العهد سقطت من الاستعمال بعض الالفاظ التي اتى الاسلام على مدلولاتها مثل «المربع» «النسيطة» «الاتاوة» «الصرورة»

ولقد نالت العربية تقني بمفرداتها الجديدة وتراكيبها الحديثة وقوم مفرداتها وقواعدها حتى جاء عصر الخطاط المملكة الاسلامية واخذت تنقسم الى ممالك مستقلة يحكمها اناس من اصول غير عربية كالمغول والاكراذ والأتراك وغيرهم . ففي تلك العصور اصبحت اللغة بما ذهب برونيتها الاسلي واصبحت من التكاثر واستعمال الالفاظ المنفحة على جانب من الغلظة والجفاء حتى ان ما كتب من المصنفات على ذلك العهد تصعب قراءته لخلوه من كل فائدة . فهو عهد الالفاظ الروانة المنفحة والسجع المرصع الذي أعجب به بعضهم وحمل عليه كثيرون وذلك لان البيان كثيراً ما يضيع لضرورة السجع واذا ارتقت الاسماع الاسجاع فالفكر ينو عنها كل النبو .

وفي ذلك العهد دخلت اللغة تلك الاستعارات المنفحة والمبالغات الغريبة حتى ان معظم الالفاظ التي عرفت تلك الايام كانت الفاظاً ادارية او اسما رتب في الجيش مثل «سجقدار» «الباشكير» «اليوزباشي» «الباشا» «دقردار» «خز ندار» «المابين» «الانغا» «دقرخانه» . وفي ذلك العهد ايضا اخذت بعض الالفاظ العربية توضع لمسميات جديدة مثل «المتصرف» «صدر الاعظم» «القائم مقام» «المسئولية» «النايعة» ثم اتى دور تركت اللغة الا ما كان له منها عاقبة بالفحو واللغة والتصوف والفقه وفي هذه الموضوعات صدرت كتب لا تحصى بكثيرتها .

والدور الرابع دور النهضة ويرد تاريخه الى نحو قرن وقد نزل الاوربيون في الشرق يلتمسون لهم في شواطئ البحر الابيض بلاداً يظهر فيها نشاطهم فاخطلط المصارفة بالمغاربة اختلاطاً دائماً نشأ منه تبادل في الافكار بينهم وبفضل ذلك اغتنت لغاتهم بمفردات استعارها بعضهم من بعض . واذا كانت بضاعة الشرقيين في العلم قليلة اضطروا في دراسة العلوم الحديثة ان يأخذوا الفاظاً عن اللغات الغربية او ان يتوسعوا في معاني بعض مألوفهم من الالفاظ العربية ليضعوها لافكار ومعارف جديدة . وذلك دليل على ان اللغة ظلت على حالها على النشوء

ومن العتب ان نورد هنا بعض الالفاظ الافرنسية التي اندججت في سلك اللسان العربي مثل « بوليس » « بارلمان » « سيركولير » او الالفاظ الايطالية مثل « برسطة » « ديكريشو » « بروتسو » دع عنك التعابير العلمية التي سرت الى العربية من اللاتينية او اليونانية وهي شائعة في لغات اوربا . ومن الالفاظ الكثيرة التي حوت عن معناها الاصلي للدلالة على افكار جديدة لم تكن مألوقة للشرقيين « الميزانية » « المؤتمر » « المحرر » « المحافظون » « الاحرار » « الاشتراكيون » « اهل الفوضى »

وقد نشأ للغة في سورية ومصر لهدنا كتاب بالعربية من الطبقة الاولى خلصوا اللغة من قيودها واعادوا اليها نضرتها الاولى وانقذوها من المترادفات المملة حتى صارت باناشائها الى الوضوح والسلاسة معبرة احسن تعبير عن الافكار الحديثة وبفضلهم اخذت روح اللغات الاوربية تدخل في العربية وسهلوا نحوها وصرفها وبيانها .

يقولون ان لغة الكتابة تخالف لغة التكلم ومثل هذا موجود في اللغة الافرنسية نفسها فان اهل الطبقة الوسطى يتكلمون بلغة لاتناسب بينها وبين لغة اديب او شاعر على ان الشعب في البلاد التي يتكلم فيها بالعربية اقرب الى فهم ما يعملون من الالفاظ بالدق من الشعوب الاوربية الى فهم الغرب من لغاتهم الرسمية . والدليل على ذلك انك تجد الطبقة النازلة من الامة تستمع للحكواتي (الادبائي) في مجال القهوة وتنتص لقصص الف ليلة وليلة وقصة عنتر وتفهمها كلها على بلاغتها بفطرة فيها وشعور طبيعي . وبما يقال فان التمثيل باللغة العربية الادبية يفهم العامة ولئن فاتهم فهم بعض ابياتها فعامة باريز ليسوا في مراحهم اكثر فهماً لما يتلى عليهم من قصائد كورنيل وموليير واللغة العربية ليست كما يقال لغة صناعية اجنبية وليست غريبة الا عن كثير من الطلبة

الهنود والمراكشيين وغيرهم من بقصدون من البادية جامع الزيتونة في تونس والازهر في مصر ليتعلموها بل هي لغة حية لمن يدرسها ويتعلم بها بذوق مثل كتاب الشام ومصر الذين يتولون الصحافة وينشرون المعارف البشرية بواسطة الصحف والكتب بل هي حية ايضاً بالنسبة لاولئك الذين ترام في محال القهوة من العامة يهتزون لما يسمعون من افاشيد الغزل ووقائع الحروب على ان اللغة الافرنسية ايضاً هي احق بان تكون لغة صناعية اجنبية اذا رأينا كيف يتوارى شبان الطلبة من قرى افاليم البروفانس وبرتانيا وغاسكونيا (فرنسا) عن الانظار ساعات اللعب في المدارس يتكلمون بلهجتهم الخاصة بهم

فان قيل ان اللغة العربية تحتاج الى عشرين لتعلم نحوها قلنا ان الشرقيين يتعلمونها في اقل من هذه المدة ويتقنون معاودة لغات اجنبية ثعلينا ان نعقد املاً باصلاح طرق التعليم في المدارس الاسلامية على الاسلوب الحديث وبذلك يحصل الطلبة لغتهم سيفي قليل من الزمن فاللغة يجب ان تكون آلة لا غاية

وقد قال السيوني بل ان حاجة العربية ماسة الى ان تستمد من اللغة العامية لتحيها اما انا فاقول بان اعظم نقص في اللغة العربية ان تكون غنية وهي لاحاجة بها الى الاخذ من العامية سيفحين تجد ادبيها ٢١ لفظاً مختلفاً للدلالة على الظلام و٥٢ للشمس و١٠٠ للخمر و٢٥٥ للثافة و٣٥٠ للاسد . وقد اصبحت اللغة الافرنسية بكثرة مفرداتها على عهد رونارد فاقدح ذلك فيها بل عد من الزيادات التي تحذف . فالعربية لانتسب اللغات الاوربية بل هي بالنسبة الى الافرنسية كالمرأة الباريزية المعشوقة القوام الجميلة الهندام مع المرأة السمينة الشرقية التي تحرس على هدامها القديم وهي حية جميلة قوية . نعم ان غنى العربية في مفرداتها يضر بمرورتها وسرعة فهمها ولكن الدم الفتي الحار لا يكثر منها كثيراً في عروقه . فانا نجد كتاب هذا العصر يستطون عدداً كبيراً من المترادفات وينشقونها الروح الغربية فهم قوام على محبتها وحياتها . واللغة التي تأخذ عن العامية تصبح الى الابتذال المعقوت اقرب

وبالجملة فان العامة في الشرق ليسوا اقل من عامة الغرب فهماً للغتهم ولكنهم يزدون فهماً يوم تصرف بينهم كل سنة الملايين لتشر التعليم العام على نحو الميجريسي في الغرب . وان قيل ان اللغة العربية لغة ادبية جميلة ولكنها ليست الاداة مشوشة لتعليم العلوم فلجواب بان النتيجة التي وصل اليها اصدقاؤنا الملمين في المدرسة الخلدونية من تعليم

العلوم باللغة العربية هي تكذيب صريح لمن يقول هذا القول . ويمكن ان يقال ان شعوب الشرق هم من عناصر ادب وتفنن فهم اميل الى تلقف الشعر منهم الى تعلم العلوم المادية كما يفعل اليوم اهل القاصية من بلاد اوربا فيتخلون عن الجميل من العلوم لتعلم ما هو نافع منها حتى كادوا يفقدون بذلك حضارتهم . فانا اقول لهم في هذا المجال ما قاله نابوليون : اذا كانت العلوم من احسن ما اعتدت عقول البشر الى تطبيقه فالآداب (الادبيات) هي روح الانسانية بذاتها

السجل المعلق

نقلنا في الجزء الماضي نموذجاً من كتاب السجل لحزة بن علي . ثبت الوهية الحاكم باسرا لله وصاحب مذهب الدروز الاول وما نحن اولاء نتبعه بنصف منه تكشف الغطاء عن معتقدهم ولقاري ان يعلق عليها ما شاء :

جاء في الرسالة الموسومة ويد (?) التوحيد لدعوة الحق : توكلت على مولانا البار العلامة العلي الاعلى حاكم الحكام من لا يدخل في الخواطر والاوهام جل ذكره عن وصف الواصفين وادراك الانام حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبد مولانا الامام : كتابي اليكم معاشر الاخوان المستجيبين الى دعوة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد جل ذكره عن صاحبة والولد العابدين له لالغيره الناجين من شبكة ابليس اللعين والضد المهين وجواسيسه الملاعين وانصاره النافرين وحزبه الشياطين ليس لابليس عليكم سلطان ولا جنوده لديكم مكان ولا لزعزعه عندكم شان بل انتم الملائكة المقربون الذين ملكوا انفسهم عن افعال المشركين وانتم حملة عرش مولانا جل ذكره والعرش هاهنا علمه الحقيقي الذي هو صعب مستصعب لا يحمله الا نبي مرسل او ملك مقرب او مؤمن متقن المولى قلبه بالايمان له وجده سبحانه وتعالى عما يصفون

اما بعد فاني احمد اليكم مولانا الذي لامولى لنا سواه وامركم وايايكم بالشكر لتعمه وآلائه حمد من استوجب الزيادة في اولاء وأخراء ووصيكم بما ايدني به مولانا جل ذكره وامرني به من اسقاط ما يلزمكم اعتقاده وترك ما لا يفسركم افتقاده من الادوار الماضية الخادمة والشرائع الدارسة الجامدة وما منهم نالقي الا وقد نسخ شريعة من كان

قبله من المتقدمين ومحمد بن عبدالله الناطق السادس لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها وسد الطرق وقال فمن لم يترك ما كان عليه قديماً من دين آبائه واجداده قتل وسمي كافراً ومن ترك الشريعة التي بيده ولم يلتفت اليها وقع عليه اسم الاسلام وكان سيفه سلمه غير ملام وسمي لم محمد الجنة على الدوام فبان للعاقل الشافي والمخلص الكافي ان الاشارة والمراد هاهنا في عبادة الوجود لا العدم المفقود والانسان ابن يومه وساعته وفي الوجود راحته وله عبادته وبه حياته واليه اشارته ومولانا الحاكم البار العلامة قد نسخ شريعة محمد بأكمل ظاهراً للمؤمنين ذوي الافعال وباطناً للموحدين اولي الالباب واما من نوره في قلبه زاهر وفي معاني اموره للخلق قاهر وغير متافق بالكفر شاهر لا يلتفت الى استعمال الناموس وعلوه وزخرف القول وسموه ويعلم انه استدراجاً للكافرين وتمييزاً للمؤمنين الموحدين كما قال ولبيد الله الخيث من الطيب وان كان لا ينجي عن مولانا جل ذكره الخيث من الطيب يعني المشرك من الموحدين لكنه اراد ان يبين للموحدين من يرجع منهم على عقبيه ومولانا جل ذكره عالم بما في الصدور وما هو كائن والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار في شيء واحد اذ لم تحتل هذه الرسالة طول الشرح

وقد ينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها وذلك بقوة مولانا جل ذكره وتأنيده ولا حول ولا قوة الا به وكيف وفي رفع الزكاة واسقاطها مقنع المسائلين عن غيرها وهي مقرونة بالصلاة وقد غزا عبد اللات بن عثمان المكنى بابي بكر الى بني حنيف ومعه جميع المهاجرين والانصار فقتل رجال بني حنيف ونهب اموالهم وسبي حريمهم . وقد اشترى علي ابن ابي طالب وهو اساس الناطق من جملة السبي امرأة تعرف بالحنفية واسمها تحفة وهي ام ولده محمد فقيل له يا علي كيف تسفل نفسك ان تشترى امرأة مسلمة تشهد ان لا اله الا الله وتشهد ان محمداً رسول الله وتصلّي الخمس وتقوم شهر رمضان فقال علي ما يتبعها ولا تقوما الشهادتين ولا سائر اعمال الشريعتين اذا لم يؤدوا الزكاة وان الزكاة هي الشريعة بكاملها فمن لم يؤدها وجب عليه القتل وأحل لثاماله واهله لقوله فويل للمشركين الذين لا يؤدون الزكاة فقد اخرجهم الله من الاسلام وجعلهم مشركين . وانتم معاشر الموحدين قد علمتم وسمعتكم السجل الذي امر مولانا جل ذكره بقراءته عليكم واسقط عنكم الزكاة والاعشار والاحماس وسائر الصدقات الى ابد الابد ولم يسقط عنكم محافظة بعضكم بعضاً »

وقال في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد : « فتعوذ بمولانا من ذلك سبوح قدوس

مبدع الابداع وجامع الاشياء والاضياء الذي هو على السموات عال وفي الارض متعال وعن قريب يظهر مولانا جل ذكره سيفه بيدي وبهاك المارقين ويشهر المرتدين ويجهلهم فضيحة وشهرة لعيون العالمين والذي يبقى من فضلة السيف تؤخذ منهم الجزية وهم صاغرون وباسون الغيار وهم كارهون ويكونون في الغيار والجالية على ثلاثة اصناف فغيار النواصب علاقتان من الرصاص في اذني كل واحد منهم وزنهما عشرون درهماً وطرف كره الايسر مصبوغ فاخيتاً وجاليتة ديناران ونصف وهم يهود امة محمد ويكون غيار اهل التأويل الواقفين عند العدم علاقتين من الحديد في اذني كل واحد منهم وزنهما ثلاثون درهماً وطرف كره الايمن مصبوغ بالسواد وجاليتة ثلاثة دنائير ونصف وهم المشركون نصارى امة محمد ويكون غيار المرتدين من توحيد مولانا جل ذكره علاقتين من الزجاج الاسود في اذني كل واحد منهم وزنهما اربعون درهماً ويكون على رأسه طرطور من جلد ثعلب وصدر ثوبه مصبوغ رصاصياً اغبر وجاليتة خمسة دنائير في كل سنة وهم المنافقون بحسب امة محمد وتؤخذ هذه الجالية من الشيوخ والنساء والصبيان والاطفال في المهدي وتغير عليهم العلائق في كل سنة فمن خالف منهم ضرب عنقه»

وقال في رسالة الغاية والنصيحة : فلو ميزتم معاني الكلام وتدبرتموها لبان لكم نطق الرسول من نطق ابليس وفعل الامام من فعل غطريس ولعرفتم السبت والخميس وتبرأتم من فرعون وهامان الرجيس ولتصور لكم ارتفاع مكان ادريس وعبدتم مولانا جل ذكره باري الحن والحن والجن والبن والانس . والرسول هنا هو الامام المفترض الطاعة وهو دون الامام الاعظم وابليس هو المشتبه بالمولى سبحانه . ويؤمن بانه جنس ويدعي عهد المسلمين والامام الاعظم ذريعة . وسمي ذريعة لانه دعا توحيد الامام جل ذكره بلا واسطة وغطريس هو نشكبين الدرزي الذي تغطرس على الكشاف بلا علم ولا يقين وهو الضد الذي سمعتم بانه يظهر من تحت ثوب الامام ويدعي منزلته ويكون له خوار وجولة بلا دولة ثم تنطفي ناره وكذلك الدرزي كان من جملة المستحيين حتى تغطرس وتجهل وخرج من تحت الثوب والثوب هو الداعي والستره التي امره بها امامه حمزة بن علي ابن احمد المادي الى توحيد مولانا جل ذكره سبحانه وتعالى وادعى منزلته حسداً له واعجاباً بروحه وقال قول ابليس وكذلك الدرزي سمى روحه في الاول بسيف الايمان فلما انكرت عليه ذلك وبينت له ان هذا الاسم محال وكذب لان الايمان لا يحتاج الى سيف يعينه بل المؤمنون

محتاجون الى قوة السيف واعزازة فلم يرجع عن ذلك الاسم وزاد في عصيانه واظهر فعل
الضدية في شأنه وتسمى باسم الشرك وقال انا سيد الهادين يعني انا خير من امامي الهادي
وغره ما كان يضرب من ذغل الدناير والدرام وحسب ان امر التوحيد مثله يحتمل
التدليس واذا ان يسجد لمن نصبه المولى جل ذكره وقدره واختاره وجعله خليفته سيف
دينه وامينه على سره وهادياً الى توحيده وعبادته فتعطرس على الدين واظهر سيف الناطق
والاساس اجمعين طلباً للرياسة والاسم اللطيف بالظهار الشريرة في عالم البسيط والكثيف .
وفرعون البرذعي وهامان علي ابن الحبال لان فرعون كان داعي وقته فلما ابطأ الناطق
قال انار بكم الاعلي يعني امامكم الاعظم . وهامان الذي فتح له باب المعصية وادريس هو
الذي رفع مكاناً علياً وهو ارتفاع درجته في العلوم حتى صار اماماً دون الامام الاعظم
الذي مص العلم من ذي ممة وهو قائم الزمان هادي المستجيبين عبد مولانا جل ذكره
وصفيه بلا واسطة جسيافي فاذا عرفتم هذا عبدتم مولانا جل ذكره ياري الحق وهم الدعاة
والجن وهم المأذونون والبن وهم المكاسرة والانس وهم المستجيبون هاهنا في هذا المعنى
والسبب دليل على السابق وهو علي بن عبدالله الراقي الداعي والخمس دليل على التالي
وهو مبارك بن علي الداعي واهل التأويل يزعمون بان الكلمة هو السابق والسابق هو
الكلمة لافرق بينهما ولا يعرفون فوقهما شيئاً اذ كانت الثلاثة حدود الذين هم ذومعة
وذومعة والجناس غائبين عن عيون قلوبهم ينظرون اليهم وهم لا يبصرون .

معائش المستجيبين لمولانا جل ذكره قد بلغت لكم الهداية ودعوتكم الى توحيد مولانا
جل ذكره في سبعين عاماً ما منها عصر الا ويظهر في مولانا جل ذكره فيكم بصورة
اخرى وامم آخر ولغة اخرى اعرفكم ولا تعرفوني ولا تعرفون نفوسكم . والآن قد
استدارت الادوار وكأنكم باظهار توحيد مولانا جل ذكره ونور الانوار واظهر لكم ما كان
مدفوناً تحت الجدار فمولانا الحمد والشكر وحده فلا تنكروا معجزات مولانا جل ذكره
واياته ولا تلتفتوا الى اسن فاس مضى بما فيه وغداً فلا تعلم انك توافيه واليوم انت فيه
بما يقتضيه وكما غاب عن العالم استطوه فلو كان للعالمين عقول لميزوا "هجزاقي التي ابدني
بها مولانا جل ذكره يوم الجامع»

وقال في رسالة السيرة المستقيمة بشأن القرامطة ما يأتي : « وكان اهل الاحساء
الى المدينة حرفة — يسافرون اليها بالبيع والشراء فدخل اليها رجل من اهل
الاحساء يقال له صرصر فكاسره بعض الدعاة واخذ عليه العهد من وقته وساعته واقي

به الى عند آدم وهو شطليل فاطلقه داعياً باحساء واعمالها فخرج الرجل من وقته وساعته الى الاحساء واعمالها واخذ العهد بها على خلق كثير واوصاهم بتوحيد مولانا جل ذكره وعبادته والاقرار بشطليل وامامته والتبري من اهلبيس وصحبته وقال لم اذا دخلتم هجر فعبسوا وجوهكم وقرمطوا انافكم على اهلها فان فيها رجلاً يقال له حارث ابن طرماح الاصهباني وله اصحاب كثيرة وكلهم قد خالفوا امر مولانا البار العلام وجحدوا فضيلة الامام فلا تغاطبوا اهلها بشيء من العلم الا لمن يحضر معكم مجلس شطليل الحكيم فقبلوا من الداعي صرصر وفعلوا ما امرهم به من العبة والقراطة فلقبهم بالقراطة الى وقتنا هذا وصار ذلك اسماً في بلاد الفرس وارض خراسان اذا عرفوا رجلاً بالتوحيد قالوا هذا قرمطي ويسمون مذهب الاسماعيلية القراطة بهذا السبب

وكان ابو طاهر وابو سعيد وغيرهم من القراطة دعاة لمولانا البار سبحانه بعدونه ويوحدهونه ويسجدون لطيبته وعظمتته ويزهونه عن جميع بربته فلقبهم المولى جلت قدرته بالسادة وعملوا في الكشف مالم يعمله احد من الدعاة وقتلوا من المشركين مالم يقدر عليه احد من الدعاة ولم يسأل المولى سبحانه ظهور الكشف على ايديهم لما علم جلت قدرته وعزت عظمتته ومشيئته ما يكون من الخلف بعدم من اضاعة التوحيد والفضالات واتباع بني العباس بالشهوات ووقوعهم في الغي والغمرات وقد آن وقت الكشف وازف اوان السيف والخسف وقتل المنافقين وهلاكهم بالعنف ولا بد من رجوع اهل الاساء وهجر وديار الفرس الى ما كانوا عليه من توحيد مولانا جل ذكره وعبادته ويسجدون له وطيبته وعظمتته ويزهونه عن جميع بربته ويكونوا انصار التوحيد كما كانت قديماً اسلافهم وابث فيهم دعاة التوحيد واجمع شمل الاولياء والمبيد واقهر بسيف مولانا جل ذكره كل جبار عنيد حتى لا يبقى بالحرمين الشريفين مشرك بمولانا جل ذكره ولا كافر به ولا منافق عليه ويكون الدين واحد (٩) بلا ضد ولا معاند وذلك بقدرة مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الصاحبة والولد وشدة سلطانه ولا حول ولا قوة الا له وبه عليه توكلت وبه استعين واليه المصير وهو حسبي ونعم المعين النصير ٠٠٠٠»

وقال في نفس هذه الرسالة ايضاً في توحيد الحاكم وآياته : فيولانا الحمد والشكر على ظهور نور الانوار وخروج ما كان مدفوناً تحت الجدار فقد انعم علينا وعليكم ببيان شرته في البشرية وظهوره لكم في الصورة المرئية كما تدركون بعض ناسوته الانسية ولا اقول

ذاته أو نفسه أو صورته أو معناه أو صفاته أو مجاهه أو مقامه أو وجهه الآخرورة على قدر استطاعة المستجيبين وما يفهموه المستمعين (كذا) وتعيه عقولهم ويدخل في خواطرم ولو قلنا غير هذا لما فهموا الكلام ولا تم لهم التنظيم والاقولانا جل ذكره لا يدخل في الاوهام والخواطر ولا يمتزج بباطن ولا ظاهر بل منه بدأ كل شيء واليه يعود كل شيء كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى عن احاطة الدهور به والازمان لا يقف احد من المخلوقين على افعال مولانا جل ذكره ولا يدرك غاية سلطانه ولا يستطيع الوقوف على كنه عشر عشر معشار سيرته وبرهانه

ولوتدبروا العالمين (كذا) ما يرون من آياته وبيان علاماته مشاهدة العيان لكان لهم كفاية عن طلب العلم بالخبر وعن كثرة التوارخ والسير وذلك ما يشاهدون منه مالا يجوز ان يكون من افعال احد من البشر ولا يسمع به من التوارخ والسير ولوجئت اذكر لكم عيان جميع ما اظهر مولانا جل ذكره من آياته وبيان علاماته لما حواه قرطاس ولا كتبه فلم كما قال في القرآن ولوان ماني الارض من شجر اقلام والبحر يده من بعده سبعة ابحر ما قدرت كلمات الله والله في هذا الموضع ناسوت مولانا سبحانه لكنني اذكر لكم في هذه السيرة وجوها قليلة العدد كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها ووحدته وعبد مولانا سبحانه وعن عن حكومة الاوهام سلطانه .

فأول ما اختصر في القول ما فعله المولى سبحانه مع برجوان وابن عمار وهو يومئذ ظاهر ما يرويه العامة على قدر عقولهم ويقولون صبي السن وملك المشاركة كافة مع برجوان وابن عمار ملك المغاربة كافة ما امر مولانا سبحانه بقتلهم فقتلوا نزل الكلاب ولم يخش من تشويش العساكر والاضطراب واما امر ملوك الارض فما يخرج احد منهم على مثل ذلك ثم امر بقتل ملوك كتامة وجبايرتها بلا خوف من نسلهم واصحابهم ويمشي انصاف الليالي في اوساط ذرايعهم واولادهم بلا سيف ولا سكين

وقد شاهدتموه في وقت ابي ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد اضرم ناره وكانت قلوب العساكر تخرج في مضاجعهم مما رأوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكانت المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالي الى صحراء الجب وياتقي به حسان بن عليان الكلبي في خمس مائة فارس ويقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم انه يدخل في ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين وكذلك في وقت نفاق مفرج بن دغفل بن جراح واخوته واولاده ويدبر بن

ريعة وجميع العرب كافة وكانوا اهل الحجاز مع سلطانهم حسين بن جعفر الحسيني الذي نافق بمكة ومجيئه الى الرملة واجتماعه مع ابن جراح واولاده وما بالحضرة احد من العسكرية ولا من الرعية الا وهو يعتقد في كل يوم وليلة بان حسين بن جعفر الحسيني يحيي مع مفرج بن دغفل واولاده ويكبسون القاهرة والمولى جل ذكره يركب كل يوم وليلة ويخرج العتمة من القاهرة ويدخل صحراء الجب ناحية الجبل موضع يزعمون العالم بان مفرج بن جراح يحيي من ذلك الموضع ولم يرجع الحسيني الى مكة حتى وقعت العداوة بينه وبين ابن جراح واراد ابن جراح ان يقتله ثم هلك بعد ذلك مفرج بن دغفل بن جراح وملوك الارض كافة تدعجوا عن هذا » اهـ .

وهكذا تجد هذا المخطوط كيف قلبته حاوياً انواعاً كثيرة وقد ختم بقصيدة اسمها شعر النفس للشيخ ابي ابراهيم اسمعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفوة المستجيبين الى دين مولانا الى علم الامام ارسلها الى جبل السماق لتقرأ على كل موحد وموحدة قال :

الى غاية الغايات قصدي وبغيتي	الى الحاكم العالي على كل حاكم
الى الحاكم المنصور عوجوا ويموا	فليس فتي التوحيد فيه بنادم
هو الحاكم الفرد الذي جل اسمه	وليس له شبه بقاس بحاكم
حكيم عليم قادر مالك الوري	يوانس بالاسم المشاع بحاكم
غدا السابق السامي اليه وتاله	مع الجدد والفتح الخيال الملاوم
عبيداً لمولانا خضوعاً لامره	وكل فتي في الدين عبد لآدم
هو الواحد العالي على كل علة	وما غيره الا كعبد وخادم
هو الحاكم المولى بناسوته يرى	ولا هوته يأتي بكل العظام
الى الحاكم المولى فهبوا واقبلوا	فتوحيدكم صدق على كل حازم
اذا الحاكم العالي تعالى بموكب	فوجد بين العلم بين العوالم
تسمى اماماً والامام فعبدته	ليقظ ولا نصغي الى كل نائم
وقد ظهر المولى فآسى عبيده	بافعالهم انسا بحكمة حاكم
ظهروا بافعال العبيد وشكلهم	ويؤنسهم واخلاق شبه البهائم
اذا بنا التوحيد طاشت عقولهم	وراموا انتهاشاً مثل نهش الاراقم

سبق لهم عظم احتياج مقالنا
هو الحق ماقلنا شواهد ات
نقوم رجال الحق عند قيامهم
يفادون رغماً لايجاب مقالهم
بنادهم الهادي هلموا الى الذي
هلموا الى المعنى الخفي وحسبكم
وقلتم بتأويل المعاني ديانة
ظنتم بان الطفل يبق لصغره
واشركتم والشرك كنهه لتطقم
سيطلق سيف الحق فيكم لجهلكم
وتحويكم اهل الاجابة والتقى
ويظهر سيف التيميم مشهراً
وماصفوة المستجيبين تارك
ونثني غليلاً في الصدور مكناً
وتمشون جهراً بالغيار خلقكم
سيكظم هذا الشعر كل منافق

نكى عظمهم قلعاً كقطع الصوارم
تحز مقال النوم حز الغلام
بقوة عزم في انتهاء العزائم
حفاة سارى في اكف الضرايم
جهلتم من التوحيد من كل عالم
شواهد ماالدي لكم في الدعائم
على غير ماقد قيل من كل قائم
وانسيتم حد البلاغ المكائم
وامواج بحر الشرك بين الثلاثم
وبمحصدكم كالزرع من غير راحم
وتوحيدهم يربو على كل غائم
على جمعكم والفعل من غير آثم
جهادكم من غير خوف ولا لم
ونأقي على انسابكم والتراجم
وتلقون كل الذل من غير راحم
ويزداد كتماً فوق كظم الاكظم

حال الهند الانكليزية

(معرفة عن مجلة الديبا الاسبوعية)

ليست احوال الهند كما يرام والحكومة الهندية والبريطانية في خوف شديد ورعب
زائد . لاجرم انه يستبعد حدوث ثورة عامة مثل ثورة سنة ١٨٥٧ . لان الحكومة
تتذرع بوسائل من الحزم والاحتياط تجعل امثال هذه الثورات من قبيل المحال . خصوصاً
وان اسلاك البرق وخطوط الحديد وسرعة وصول الاخبار وسهولة المواصلات
تساعد الحكومة على توطين دعائم الامن والراحة وتضمن لها السكون والهدوء . غير ان
الهنديين يحاربون الفاتحين بأسلحة أخرى وسيظلون محاربين لم ابدأ بها وهي :
الجرائد . الخطب . الدعوة الى الثورة .

فبهذه الاسلحة الثلاثة يحاول الهنديون نزع نير الحكم الانكليزي من اعناقهم .
الا وان بين سكان آسيا على اختلاف مللهم ونحلهم وتباين عناصرهم واجناسهم وبين
اهل اوربا نفوراً ليس في امكان البشر محوه ورفعهم .
واليك مافاله كيبلينك في هذا الصدد : (Kipling) من كتاب الانكليز
ولد في بومباي سنة (١٨٦٥)

« الشرق شرق والغرب غرب . ولا شيء يجمع بينهما فها ضدان لا يأتلغان .
ومن المتعذر كل التعذر ان تنشأ بين ابن الشرق وبين ابن المغرب ألفة حقيقية او مودة
ثابتة او ثقة تامة . فانهما يتكلمان بلغتين متباينتين كل التباين ولا يستطيعان ابدأ
ان يفهما . وعدم الالفه وقلة الوثام هو الاصل في علائق الشرقيين والغربيين
على مدى الايام ... »

تخرج في غضون خمسين سنة من المدارس العليا في الهند وانكثرا ما يربو على
خمسين الف تلميذ هندي تسعة عشر هو لاء غدوا كتاباً وادباء ومحامين . اما الاطباء
والمهندسون والكيمائيون فهم بين ثلاثة الى اربعة آلاف

ويتخرج كل سنة من المدارس العالية اثنا عشر الف هندي وهو لاء يأتون
بلادهم حاملين شهاداتهم فيزداد بهم عدد الدارسين المعلمين زيادة مستمرة
وان يكن قد خصص هو لاء الشبان بعض المناصب الصغيرة في الادارة والمحاكم
فليس في هذه المناصب ما يكفيهم جميعاً ومن لم يقدر على الدخول او يرغب في دخول
سلك المعلمين بتلك الرواتب الطفيفة التي كادت تكون مخزية وهزواً يضم صوته
لاصوات الجرائد ورجال السياسة المهيجين فعدد هو لاء كبير للغاية وهو ينفو ويقوى
على الدوام ...

فاتموية الاوربية جعلت الهنديين غير راضين وصيرتهم خائفين ناقبين ! بنشأ الهندي
من المدارس العالية على ذكاء وفاد ونباهة تامة غير ميل للتجارة او الصناعات فيدخل
في برهة وجيزة غمار السياسة وهو خائف على حكومة وادارة قد غرست فيه آمالا
كبيرة ومنته باحلام مذهبة لم يتمكن من تحقيقها ولا طاقة له بالحصول عليها . واذ
كان يرى نفسه على مستوى من يحكون عليه مساوياً لهم في المعرفة والادراك لافرق
بينه وبينهم في شيء لا يلبث ان يشهد امام عينه ذلك الظلم المبين الذي سجل عليه
حياة بائسة تحت ربة اناس دخلاء اجانب غرباء مع ان في مكنثه ان يقوم مقامهم

في تولي الامور والمصالح والعمل في شؤون الحكومة والادارة وقد بفضلهم ويمتاز عنهم من حيث انه ابن البلاد عارف بأخلاقها وطبائعها، خبير بأمرجتها وعاداتها، واقف على معتقداتها وتصوراتها . . .

يتعلم الهندي في بلاد الانكليز في ايام الدراسة قواعد السياسة واصول الادارة ويقف على آراء علماء الاجتماع على نحو ما يتلقاها شبان الانكليز فيخرج من المدرسة وعقله متشبع بمبادئ الحكم الذاتي وحكم الامة نفسها بنفسها وعدم المركزية *Self government* كما هو الحال في بريطانيا . والتلميذ الهندي يفهم هذه المبادئ كل الفهم ويعلمها حق العلم ولكنه متى جاء ليطبق احكامها على بلاده واوطانها، يشعر بأن لسان حال الانكليز يقول له بأجلى اشارة :

« ما كان حقاً وصحيحاً على ضفاف التاميس ليس كذلك على ضفاف

الغانج ! »

وهذا القول يصعب اذا نظر الانسان اليه بعين انكليزية اما الهندي فلا يفتنه ذلك ومن هنا ينبعث النفور والحنق .

يريد الهنود اما ان يتركوا وشأنهم يحكمون انفسهم بانفسهم واما ان يحكمهم الانكليز مراعين مصلحة الثلاثمائة مليون من البشر سكان الهند رعية امبراطور الممالك الهندية وملك بريطانيا . وبعبارة اخرى يطلبون من حكومة الهند ان توجه عنايتها لحفظ مصالح الهند

اما الانكليز وجرائد الانكليز فيقولون ويجهرون بالقول غير مباليين بأن بقاء الانكليز وحكمهم عليها هو لاجل مصالح الانكليز فقط فالهنود محكومون للانكليز من اجل هذه المصالح وحدها وما دام الانكليز في بلاد الهند فمصالحهم ومرافقهم فيها خطيرة فحرصاً على هذه المصالح ورعاية لهذه المرافق وحباً بالوصول اليها على اكمل وجوبها يحكمون هذه المملكة الشاسعة الاطراف الوسيعة الجوانب ويدبرون امورها .

ربما ساء للانكليز ان يقولوا انهم عمروا البلاد وحسنوا حالها بأنشاء الطرق ومد الخطوط الحديدية واسلاك البرق واصلاح الري وسقيا الارض وفتح ابواب الصناعات وبذل العناية في حفظ الصحة العامة ودرء اسباب المجاعات وتخفيف ويلاتها . ولكن هذه المواد النافعة لم تأت الا من طريق العرض وهي منبعثة من المنافع الكبيرة والفوائد

العظمى التي خص الانكليز بها انفسهم دون سواهم فهي ناشئة من حاجتهم اليها لاجل استثمار البلاد واخذ نتائجها وغلتها . . .

وقصارى القول : ان الانكليز لم يحكموا بلاد الهند من اجل عيون الهندوك انكحلاء ولنفعه الهنديين بل رغبة في مصلحة الانكليز وحدها . . .

وما من احد في الغرب يلوم الانكليز على صنعها هذا . ولكن اليس من البديهي ان يصبح اهل الهند غير راضين عن هذه الحالة .

يقول الهندوك : لا يعمل الانكليز الا لانفسهم .

ويجبهم الانكليز : بانهم يعملون لانفسهم وفي عملهم هذا ينفعون البلاد الهندية .

فهنا فرق دقيق لا يخفى على الناقد البصير .

وان الهندوك الدارسين سيفي اوروپا يعلمون هذا الفرق ويدركونه وهم لا ينفكون من الفات انظار ابناؤهم اليه مشوباً بالاعظام والمباغة . رأى الهندوك المتعلمون وعرفوا ماذا حدث وجرى في جزيرة ايرلاندا ورأوا وعرفوا ماذا حدث وجرى في الممالك الاخرى فافتدواهم ونسجوا على منوالهم وحذوا حذوهم وقلدوا الايرلانديين والاجتماعيين والعدميين (سوسياليست وآنارشيست) في اعمالهم . . .

خذ مثلاً لذلك حادثة غليبر سنة ١٩٠٨ وحادثة لوندر سنة ١٩٠٩ (وهي ان دنكرا الهندي قتل السير كرزون وبلي والدكتور لافسان سنة ١٩٠٩) وغيرهما . . . فالتهمجون والكتاب والصحافيون من الهندوك الذين يعرفون قوة الجرائد والمطبوعات وتأثيرها فتحوا باب حرب دائمة على صحائف الجرائد ضد الانكليز يدعون الناس فيها الى طلب الاستقلال في الادارة (اوتونومي وبالهندية سواجا) ويشوقونهم لمقاطعة البضائع الانكليزية (بر يكو تاج وبالهندية سوادشي) كما صنع الايرلانديون في جزيرةتهم .

واضافوا على ذلك عمل الفوضويين اي القتل والقتل الدريع والقاء القنابل والاجزاء المفرقة والمواد النارية المنفجرة .

وهذا هو البلاء ! فكيف السبيل للوقوف امام تياره الهائل ؟

لم تعد الحكومة الانكليزية حتى الآن الا الى طرفتين : الاولى العزم والرصانة . الثانية : ارضاء الطبقات العليا التي لها التأثير في الهندوك بشيء من المنافع والمناصب وهم البراهمة الذين يلتصق بهم عامة الدارسين من الهنديين الذين نشأوا نشأة افريقية .

وربما وجد بين هؤلاء من هو راض عن الانكليز وحكم الانكليز . بيد انهم قليلون جداً لا يعتمدون الطبقة التي تولت مناصب الحكومة ونالت رواتب كافية .

اما جيش الكتاب الصحافيين العرمرم ، جيش الناقبين الخائفين ، جيش المتعلمين الذين لم يحصلوا على مراكز في الحكومة فأنهم يؤثرون في افكار الناس جميعاً من طريق الكتابة والخطابة .

يصعب الحكم على مبلغ تأثير هؤلاء المتحمسين والى اين يصل وماذا حصل منه . ومعلوم ان التأثير عظيم جداً لاسيما في بنجاب وبنغاله وغيرهما من الاقطار . . .

ومما يساعد على امتداد سلطة الانكليز في الهند انقسام الهنديين الى طبقات متخالفات (كاست Caste) وهذه الطبقات لارابطة بينها ولا ترغب في ان يكون لها رابطة .

ولا يوجد في الهند ما يقال له امة هندية . وليس بين سكان الممالك الهندية رابطة مشتركة سوى بعض الانكليز وهذه الرابطة عبارة عن شعور سلبى لا يفيد شيئا ان لم يكن مشفوعاً بشعور ايجابي كحب الوطن والاشتراك في اللغة وفي الافكار . فهذا لا اثر له في الهند . او لم يوجد بعد . ويختلف الهنود بعضهم عن بعض كما يختلف سكان البلاد الفقيرة في اوربا .

ثم ان العنصر الاسلامي في الهند راض عن حكومة الانكليز لانه هو ايضا اجنبى . ومن المحقق ان المسلمين في الهند ليسوا سوى ستين مليوناً من ثلثائة مليون الهنود ييغضون المسلمين بقدر بغضهم للافرنج تقريباً وزد على ذلك فان مسلمي الهند محرومون من الذكاء والميل للتعليم الذي عرف به الهنود .

فينتج من ذلك ان الحالة في الهند اوفي بعض اياتها (كبنجاب وبنغاله وغيرهما . .) ليست على خير وان كان لا ينبغي اعظامها والمبالغة فيها لان وجود الطبقات المتخالفات في درجات الاجتماع واختلاف الاجاس والاديان يحول دون ثورة عامة على الانكليز . وانكثرتا لانحش الآمن ان ثور الهند مدفوعة من احدى الدول العظمى او مستندة عليها . خطر الثورة في الهند قليل جداً بالنسبة للثورة التي حدثت قبل اثني عشرة سنة ولكن المراكز خرج على كل حال .

عن نهر الذهب : عبد الوهاب



آفة الاخبار

مسألة تصحيح السند في الاخبار من المسائل المعول عليها كثيراً في الاسلام حتى عد ذلك من خصائصه وبه حفظت السنة مجالها وطرحت منها الزوائد ولم يبق مجال للوضاعين والنصاحين على شدة احتياهم في بث ما اخترعوه ووضعوه ولاجل هذا الغرض ألفت المصنفات الكثيرة في الطبقات ليعرف كل امرئ بدرجةه فلا يفتخر انسان بقوله معها بلغ من زخرفه : فمن طبقات المفسرين واخرى للمحدثين واخرى للفقهاء وغيرها للمؤرخين وغيرها للفقهاء والادباء والفلاسفة والاطباء لتظهر على الدهر صفات من اقتسب لعلم او ضرب في المعارف بسهم

ولذلك كان من السهل التمييز بين اقوال المؤلفين على عهد رواج بضاعة العلوم وفي هذه الديار ايام كانت ملكة النقد ترجع الى قواعد مقررة وضوابط محررة فلا يفترا خاصة بنقل نقله مؤلف هو في الحقيقة من العامة بمجرد ما يروى مكتوباً على الورق منشوراً في سفر مجلد .

ولقد كان ولا يزال بعض من يعانون صناعة التأليف يسقطون الحين بعد الآخر في مسائل فيخلطون فيها على الاغلب ومنشأ ذلك على ما يعرف المحققون عدم تصحيح السند والنقل واخذ القول على عواهنه بدون تقيص حتى لم تكد تخلو كتابة الكثيرين من المغامز يقبين منها عوارها ويتجلى ضعفها .

مثال ذلك اختلاف بعضهم في امر الخلفاء وما كانوا عليه من المنازع والاختلاف فكان بعضهم يقدح في سيرتهم حتى يسقطون كل الاستقامت وبعضهم يرفعونهم حتى يلائموا بهم مراتب الملائكة وكلا الامرين افراط وتقریط . فقد رأينا بعض الرضاعين وارباب الجون انهموا بعض بني العباس كالرشيد والمأمون مثلاً بالتبذل والاسترسال في الخلاعة ولم نرموا ربحاً واحداً من ثقات المؤرخين صحح هذه الاخبار فكان مدون تلك الهنات يحاول الصافها بمخضه لغرض سياسي او ان ينتقلها بعض ارباب المقالات والاهواء — واكثرها نشأت ايضاً من نزغات سياسية — ويقصد منها غرضاً من الاغراض او يفتخر بها الابله وما أكثر البله في المؤلفين . ومن الحكايات المدخولة للاغراض المئوه بها مارواه بعض لم يصححوا النقل في السبب الذي حمل الرشيد على نكبة البرامكة من قصة العباسه اخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاه وانه لكلفه

بمكانهما من معاقبته واباعما الخمر اذن لها في عقد النكاح دون الخلوة وانت العباسة
تحملت عليه في التماس الخلوة لما شغفها من حبه فحملت ووحي بذلك للرشيده فغضب
ونكب البرامكة

وقد رد ابن خلدون على هذه التهمة الشنعاء احسن رد معقول فدفع هذه الغربة
عن ابنة خليفة واخت خليفة محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة الرسول قرينة
من عهد البداوة وسذاجة الدين وما عذه التهمة الا مما وضعه الموضوعون بقصدون التوصل منه
الى النيل من اولئك الخلفاء بهذه الطرق السافلة واغراء الناس على اتيان المنكرات
ليقول العامة اذا كان مثل الرشيد يعاقب الخمر ويقدر في مروءته في مسألة تزويج اخته
فاولي بنا ان لا تشدد في قيود الدين والآداب ونحن يسعدنا ما يسعهم وقد قال الطبري
وهو من ثقات المؤرخين والمحدثين ان الرشيد كان يصلي في كل يوم مائة ركعة نافلة
وكان يغزو عاماً ويحج عاماً . اما الشراب الذي يرمى بنو العباس بتناوله فكانت عصير
التمر وقد افنى بحله الفقهاء .

وانا اذا اقتدنا في اخبارنا على مثل كتاب اعلام الناس ونزهة المجالس وشمس المعارف
وغيرها من كتب الموضوعات واعتقدنا صحة اقوال بعض ارباب الاهواء من المؤرخين
لا يكاد يبق لنا بقية يعتد بها من الخلفاء والائمة ما كانت الامة بهم تبتى الى اليوم محافظة
بعض الشيء على آدابها واخلاقها . ومن ذلك ما وقع مؤخراً لصاحب مقالة تعليم النساء ^(١)
فنقل ما قاله الادباء واكثرهم من المخالفين لبني العباس في مذهبه الديني والسياسي — في
عليه حفيضة المنصور وبنت المهدي واخت موسى الهادي وابراهيم ابن المهدي والرشيد
والعباسة واسماء وعممة الامين والمأمون والمعتمد وانها كانت تشبب بغلامين طل ورشا وان
الرشيد لما آس منها ميلالى طل وهبها اياه وقبل رأسها وقال لها لست امتنعك بعد اليوم
من شيء تربدينه !

ولئن رجح الكتاب الرواية الثانية لما عرف من آفة الرشيد وغيبرته ولكنه كان عليه
طرح هذه الرواية المدخولة لادنى نظر قياسي على نظائرها مما روي عن ارباب الخلعة
من المجننين من السمراء والوضاعين من اهل الاهواء ممن يريدون الاعتذار عن
سيئاتهم باتهام العظما بهذه التهم الشنعاء ليكون الناس في الخزي والبذاء كاستناب

المشط في الاستواء ولطالما ود صاحب الكبائر لو كانت الناس كلهم شركاء عم
فما يقتربون .

وانا اذا وضعنا هذه الرواية على محك الروية لتجلى لنا الاول نظر بانها لاتصدر عن
عامة الناس في عصر الرشيد والمأمون وناهيك به من عصر بلغ الغاية في الآداب والعلم
والصيانة فكيف يعقل صدور ذلك من خليفة وابنة خليفة واخت خليفة ولو وجد عقلاء
عصره ورجال دولته اقل فقد عليه لما سكتوا عنه ولو اغمضوا عيونهم لما خفي امره على
الطالبين القائلين بالدعوة الى اهل البيت وهل احسن لهم ذريعة في اسقاط الرشيد
والمأمون من نسبتهم الى امور لو ثبت اقلها لكانت نقصيها عن منصب الخلافة ولو كان
اهل الارض ظهراءها

ان اخلاق السوقة تأبى لعمر الحق الرضى بما نقله اهل المجون عن الرشيد وسماه
لاخته بمشوقها وقوله لها انه لا يصدفها عن اتيان ما تريد اذا كان فيه هوى نفسها !
وان نسبة تلك الاشعار في التسبب والتشبيب الى امرأة كعيلة من فضليات النساء لا يرضى
به السوقة دع عنك الخلفاء بعد الذي عثاء من ان العرب كانوا يقتلون من بذلتهم من
تسبب وتفحش في غزها فكيف بعد هذا نثق برواية الفيرواني في عليه وهو أموي
والاصفهاني وهو علوي ومعاداة العلويين والامويين ابني العباس معلومة مشهورة وميل
الادباء والموسيقين للاغراب لادهاش الناس معروف موصوف ومتى كانت تؤخذ
حقيقة عيلة من ادب اوفضيلة اخلاقية عن شاعر .

وعندنا ان كل ما اتهم به الوضاعون واهل الخلاعة بعض الخلفاء الاول من بني
العباس انما اتى من تكتم العباسيين في اسرار دولتهم ولانهم اعطوا الامة حرية امنت
فيها فلم يربعض اردياء الفطرة اقرب الى العبث بعقول العامة من نشر تلك الموضوعات
والمجونيات بين العامة والخاصة كما اشاعوا سوء القالة عن العباسية وعالية والناس اميل
الى الشر منهم الى الخير والى كسر القيود اكثر من الاحتفاظ بها والى افاصيص الهزل
واساطير الالهة اكثر من روايات الجدد وتلقف الحقائق . وكل شيء يحتاج الى تمحيص
وحاجتنا اليه في التأليف والمؤلفين اكثر حتى لا نعثر بكل قول ولا نصحح كل نقل

قانون حق التأليف

المادة الاولى — لكل نوع من النتائج الفكرية والقلمية حق لصاحبها يسمى « حق التأليف » .

المادة الثانية — النتائج الفكرية والقلمية هي جميع انواع الكتب والمؤلفات والرسوم والالواح والخطوط والمحكوكات والهياكل والخطط والخرائط والمسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية وكل المسطحات والمجسمات الفنية والترانيم والتواقيع (نوطه) الموسيقية .

المادة الثالثة — ان حق التأليف يتضمن طبع ونشر هذه الآثار والاتجار بها وترجمتها للسان آخر او افراغها لرواية تمثيلية ويشمل الدروس والمواظع والخطب والمسامرات التي تلقى لاجل التعليم والتربية او الفكاهة . اما الخطب التي تلقى في مجلس المبعوثان والاعيان والمحاكم والاجتماعات العمومية فلكل انسان ان يضبطها وينشرها . وانما جمع خطب خطيب او دروس استاذ وتدوينها وطبعها هو حق من حقوق صاحبها .

المادة الرابعة — المقالات والرسوم التي تنشر في الجرائد اليومية والموقفة اذا كانت مقيدة بعبارة مثل « حقها محفوظ » « ونشرها وترجمتها ممنوع لغير صاحبها » فحقها محفوظ . ولكن المقالات والرسوم والاخبار اليومية غير المقيدة بمثل هذا القيد لا يعتبر فيها حق التأليف على شرط ان يبين مأخذها .

المادة الخامسة — لا يجوز استعمال اسماء الجرائد والمجموعات والرسائل والكتب الموجودة من قبل احد وانما لكل انسان ان يضع لمؤلفاته اسماء وعنوانات عمومية .

المادة السادسة — يعود حق التأليف لمؤلف في حياته وبعده وفاته يعود اولاد اولاده وازواجه لمدة ثلاثين سنة من تاريخ وفاته . ثانيا لا بانه وامهاته . ثالثا لاحفاده بالتساوي . وعليه لا يجوز طبع ونشر هذه المؤلفات او ترجمتها لسان آخر في هذه المدة من قبل احد غير مؤلفها او ورثته .

المادة السابعة — ان حق التأليف في الالواح والخطوط والنقوش والرسوم والاشكال والخرائط وجميع المسطحات والمجسمات المعمارية والجغرافية والطوبوغرافية بعد الوفاة

هو ثماني عشرة سنة اما حق التأليف في التراجم والنواقيع الموسيقية فهو كالكتب والمؤلفات (ثلاثون سنة) .

المادة الثامنة — ليس في القوانين والنظامات والاوامر والتعليمات الرسمية والاعلانات التجارية والصناعية حق للتأليف ولكن للذين يعلقون عليها ويشرحونها حق محفوظ في هذه التعاليق والشروح .

المادة التاسعة — ان مدة حق التأليف للآثار التي لم تنشر في حياة المحرر بتبثي اعتباراً من تاريخ نشرها .

المادة العاشرة — لا يجوز تمثيل رواية منشورة او منظومة او تمثيل قسم منها من غير اذن المؤلف ولا يتضمن حق طبع هذه الآثار ونشرها حق تمثيلها .

المادة الحادية عشرة — ان تمثيل الروايات المنشورة والمنظومة في المسامرات التي ترتبها المكاتب والجمعيات لالمقصود الانتفاع غير تابعة لحق التأليف
المادة الثانية عشرة — يجوز اخذ بعض القطع من اي اثر كان لضرورة او لفائدة من الآثار الادبية والعلمية والكتب المخصصة بالمدارس وفي الانتقادات على شرط ان يذكر اسم المؤلف .

المادة الثالثة عشرة — لا تنشر المكاتب الا برخصة من صاحب تلك الآثار اذا كان حياً او من عائلته اذا كان متوفى .

المادة الرابعة عشرة — يمكن ترجمة اثر من الآثار من قبل واحد او اكثر ضمن احكام هذا القانون وحق كل مترجم من ترجمته كحق التأليف اعتباراً من وفاة المترجم .
المادة الخامسة عشرة — ان حق التأليف في الآثار التي تنشرها الدوائر الرسمية والجمعيات المعروفة لدى الحكومة بصورة رسمية عائد لتلك الدوائر والجمعيات .

المادة السادسة عشرة — اذا ألف او ترجم اثر من قبل اشخاص متعددين من غير مقالة فحق التأليف او الترجمة عائد اليهم كافة على التساوي واذا توفي احد الشركاء فحق استفادة من الاقدام التي نشرت لتاريخ وفاته والمسودات التي اعدت للنشر ينتقل لورثته وتعتبر مدة الثلاثين سنة في حق التأليف ومدة الخمس عشرة سنة في حق الترجمة اعتباراً من وفاة آخر شريك في التمرير واذا كان يوجد مقالة مخصصة بين الشركاء فيجري حكم المقالة تماماً واذا حدث خلاف ما يرجع الى المحكمة

المادة السابعة عشرة — إذا لم يبق لكتاب صاحب ما كُتف توفي مؤلفه بلا وارث أو انقطعت الوراثة أو حدثت أسباب أخرى فكل إنسان له الحق بطبع ذلك التأليف وترجمته .
المادة الثامنة عشرة — يمكن لكل أحد أن يطبع المؤلفات المطبوعة قبلاً والتي لأصاحب لها وفقاً للمادة السابقة وأما الذين يودون طبع مصنف لم يطبع حتى الآن فيعطى لهم بناء على استدعائهم امتياز من قبل نظارة المعارف لمدة عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة وحينئذ لا يجوز لأغير صاحب الامتياز أو ورثته طبع هذا الكتاب في خلال هذه المدة وإنما إذا لم يباشر طبع المؤلف في مدة سنة أو عطل سنة بعد ميأثرة طبعه فيعد الامتياز كأن لم يكن .

المادة التاسعة عشرة — إذا نفذت بعد وفاة المؤلف نسخ اثر من الآثار المعبرة التي يرجى منها فائدة للناس ولم يقيس طبعه لسبب من الأسباب كفقور ورثة المؤلف أو اهمالهم أو عدم اتفاقهم فنظارة المعارف تستكمل أسباب طبع هذا الاثر مع مراعاة حقوق الورثة .

المادة العشرون — لكي مؤلفي الآثار أن يعطوا ثلاث نسخ مطبوعة من اثرهم لنظارة المعارف في الآستانة ول مديرية المعارف في الخارج ويقيده وي سجلوه ليحفظوا بذلك حتى تأليفهم اما الآثار التي ليس لها الصورة واحدة كالأواح والتأثيل والتعليق (الأنواع والمذاهب) فهي مستثناة من هذه المعاملة .

المادة الحادية والعشرون — يقيد في الدتار المخصوص الذي ينظم في نظارة المعارف ومديرياتها لحق التأليف ماهية المؤلف واسم كتابه وموضوعه وتاريخه ومحل طبعه وعدد صحائفه ويوضع لهرق بالترتيب وبعدها يوقع عليه من صاحب الكتاب أو وكيله الرسمي .
المادة الثانية والعشرون — يؤخذ في دوائر محاسبات المعارف رطل أربعة عثمانية فقط خرجاً للقيد والتسجيل ويعطى بمقابلته من قبل نظارة المعارف أو مدير ياتها علم وخبر يعتبر بمقام سند للنصرف يكون معمولاً به إلى أن يثبت عكسه بالمحاكمة .

المادة الثالثة والعشرون — تجري معاملة قيد المطبوعات الموقفة في كل آخر سنة عند اراءة النسخ التي نشرت وتسجيلها .

المادة الرابعة والعشرون — لاتسمع دعوى حق التأليف في المؤلفات غير المسجلة إلى حين تسجيلها . تعلن في آخر السنة الكتب التي قيدت وسجلت في غضون السنة واستاء مؤلفيها رسمياً بواسطة الجرائد .

المادة الخامسة والعشرون — لصاحب الآثار أو المترجم أو صاحب الامتياز أو ورثتهم ان يبيعوا أو يتركوا في خلال المدة النظامية حق التأليف أو الامتياز تمام أو مؤقتا أو بتعيين عدد النسخ لاخر بموجب مقابلة بمقابل بدل أو بلا بدل ويكون المشتري أو الآخذ حينئذ قائما مقام اصحابها ضمن شروطها حتى انه اذا توفي قبل اكمال المدة تعد ورثته متصرفا في المدة الباقية .

المادة السادسة والعشرون — يجب تسجيل مقابلة البيع أو الترك في فمارة المعارف في الامتانة وفي مديرياتها في الخارج و يؤخذ نصف ليرة عثمانية خرج قيد ولدى ابراز المفاولات التي لم تقيد على هذه الصورة الى المحاكم يؤخذ ثلاثة اضعاف المخرج المذكور جزاء ويرسل الى صندوق المعارف .

المادة السابعة والعشرون — المحررون واصحاب الصناعة الذين يشتغلون لاسم غيرهم يعتبرون بائعين حتى تأليفهم اذا لم يوجد مقابلة خصوصية .

المادة الثامنة والعشرون — ليس للطابع ان يحدث تغييرا ما في الكتاب بدون اذن المحرر واذا اجري ذلك منع نشر الكتاب بواسطة المحكمة وتعلن صورة الاعلام بالجرائد وليس للطابع ان يسترد الاجرة التي اعطاها للمحرر .

المادة التاسعة والعشرون — ان طبع كتاب وتمثله في المدة الحقوقية من غير اذن صاحبه يعد تقليدا وكذلك تمثيل رواية منشورة او منظومة في المدة الحقوقية من غير رخصة اصحابها وطبع التواقيع (نوطه) الموسيقية او استنساخ الخرائط والالواح والرسوم وانواع الخطوط بالقوطم غراف او بوسائط اخرى واعمال قبال الآثار القلمية والموسيقية بالوسائط الصناعية واعمال الواح لها (بلاكات) هو بحكم التقليد يجازى المقلدون توفيقا للمادة الثانية والثلاثين .

المادة الثلاثون — ان نسبة الآثار في التأليف والفنون النفسية لغير اصحابها يعد انتحالا وكذلك من قدم واخر عبارات كتاب او اناشيد موسيقية او حرف طرز افادتها كله بصورة يفهم منها الاصل واسندها لنفسه يعد بحكم الانتحل .

المادة الحادية والثلاثون — الانتقادات والشروح والحواشي لا تعد انتحالا وكذلك اذا نقل الموائد بعض جمل وفقرات من كتاب آخر لمصنفه ونوه بانه اخذه من محل آخر لا يكون منتحلا .

المادة الثانية والثلاثون — من طبع الكتب التي لها حق التأليف بدون رخصة من أصحابها أو توسط طبعتها أو مثل رواية، نشرة أو منظومة يفرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية إلى مئة ليرة جزاء نقدياً ويجبس من اسبوع إلى شهرين وتضبط منه الاسفار التي طبعها وتعطى إلى أصحابها وكذلك من طبع مثل هذه المصنفات في الخارج ومن ادخلها إلى الممالك العثمانية يفرم بخمسة وعشرين ليرة عثمانية إلى مئة ليرة جزاء نقدياً والذين يبيعون هذه المطبوعات وهم عارفون بها أو يعرضونها للبيع يفرمون بخمسة ليرات عثمانية إلى خمسة وعشرين ليرة جزاء نقدياً .

المادة الثالثة والثلاثون — إذا اقيمت دعوى الضرر والخسارة من قبل صاحب الكتاب المتضرر يعطى بحقتها قرار من المحكمة نفسها مع اساس الدعوى .

المادة الرابعة والثلاثون — يعامل الطابعون الذين يطبعون كتباً زيادة عن المقالة التي عقدوها مع المؤلف معاملة الذين خانقوا الامانة وتضبط النسخ الزائدة التي طبعوها ويؤخذ منهم بدل ما باعوه منها ويعطى كل ذلك لصاحب الكتاب .

المادة الخامسة والثلاثون — تطبق احكام المادة الثانية والثلاثين التي بحق المقلدين على المنتهكين ايضاً .

المادة السادسة والثلاثون — لاصحاب الكتاب المشتركين يراجعوا المحكمة على الانفراد ويطالبوا بالضرر والخسارة التي لحقتهم بسبب التجاوز على حقوقهم التصرفية من قبل الغير .

المادة السابعة والثلاثون — لا يجوز للدائنين حجز كتب المؤلف التي لم تطبع وإذا صدر حكم في بيع الآثار والمؤلفات التي حجز عليها يعتنى كثيراً بعرضها للبيع ووقاية أصحابها من الغدر .

المادة الثامنة والثلاثون — النظام المتعلق بطبع الكتب والمؤرخ في ٨ رجب سنة ١٢٨٩ و ٣٠ آب سنة ١٢٨٨ مفسوخ بهذا القانون مع الفقرات المذبلة عليه .

المادة التاسعة والثلاثون — على من طبعوا اثرأ قبل هذا القانون بدون ان يحصلوا على رضى صاحبه أو ورثته مراجعة صاحبه أو ورثته واستحصال رضاهم وإذا استمروا على بيع الآثار المقلدة من غير رضى أصحابها يجازون بمقتضى هذا القانون .

المادة الاربعون — أن تنفيذ الاحكام القانونية على الجرائم المعينة بهذا القانون متوقفة على شكاية شخصية .

المادة الحادية والاربعون — ان حق التأليف في الآثار التي نشرت بلا امضاء او بامضاء مستعار راجعة الى ناشرها الى ان يظهر محررها نفسه
 المادة الثانية والاربعون — ناظر المعارف والعدلية ما موران باجراء هذا القانون .
 في ١٠ جمادى الاولى سنة ١٣٢٨ وفي ٦ آذار سنة ١٣٢٦



عبث المشيب

ظلم الرجال نساءهم وتعسفوا	هل للنساء بمصر من انصار
يا معشر الكتاب اين بلاؤكم	اين البيان وصائب الافكار
أيهمكم عبث وليس يهمكم	بنيات اخلاق بغير جدار
عندي على ضم الحرائر بينكم	نبأ يثير ضائر الاحرار
مما رأيت وما علمت مسافراً	والعلم بعض فوائد الاسفار
فيه مجال للكلام ومذهب	ليراع (باحثة) (وست الدار ^(١))

كثرت على دار السعادة زمرة	من مصر اهل مزارع ويسار
يتزوجون على نساء تحتهم	لا صاحبات بغي ولا بشرار
شاطرهم نعم الصبا وسقينهم	دهراً بكأس للسمرور عقار
والولدات بينهم وبناتهم	الحائطات العرض كالاسوار
الصابرات بضرة ومضرة	المحييات الليل بالاذكار

من كل ذي سبعين يكتم شبيهه	والشيب في فوديه ضوء نهار
يأبى له في الشيب غير سفاقة	قلب صغير الهم والاطوار
ما حله عطف ولا رفق ولا	بر لا هل او هوى لذيبار
كم ناهد في اللاعبات صغيرة	ألمته عن حفد بمصر صفار
مهاغدا او راح في جولانه	دعته خاطبة الى ممسار

(١) ها كاتبتان مصريتان تكتبان في الصحف المصرية مقالات وحواراً في النساء

شغل المشايخ بالكتاب وشغله
 في كل عام همه في طفلة
 يرشو عليها والدين ثلاثة
 المال حل كل غير محل
 سحر القلوب قرب أم قلبها
 دفعت بنيتها لاشأم مضجع
 وتعلت بالشرع قلت كذبت
 ما زوجت تلك الفتاة وانما
 بعض الزواج مذم ما بالزنا
 قشت لم أر في الزواج كفاءة
 بتبدل الأزواج والاصهار
 كالشمس ان خطبت فللاقرار
 لم ادر أيهم الغليظ الضاري
 حتى زواج الشيب بالابكار
 من سحره حبر من الاحجار
 ورومت بها في غربة واسار
 ما كان شرع الله بالجزار
 بيع الصبا والحسن بالدينار
 والرق انت قيسا به من عار
 ككفاءة الأزواج في الاعمار

أسفي على تلك الحاسن كما
 ان الحجاب على (فروق) جنة
 وعلى وجوه كالأهلة روعت
 وعلى الدواب وهي مسك خولعت
 وعلى الشفاه المخيمات أمانها
 وعلى المجالس فوق كل خيملة
 تدنو الزوارق منه تنزل جوذرا
 يرفلن في أزر الحرير تنوعت
 الطامرات اللحظاء مثل المعى
 الزانعات اللاعبات أو انسا
 الدهر فرق شملهن فرب
 نقلت من (اليالي)^(١) الى الدوار
 وتجاب مصرور يفها من نار
 بعد السفور ببرقع وسمار
 عند العناق بمثل ذوب القار
 ربح الشيوخ يهب في الانحجار
 بين الجبال وشاطي بحار
 بقلادة او شادنا بسوار
 ألوانه كالزهر في آذار
 الناطقات الخرس كاللاوتار
 برى (بيوكدره) وشاطي «صاري»^(٢)
 يارب تجمعهم يد المقدار
 مصر احمد شوقي

^(١) اليالي لفظة تركية معناه المصيف على شاطي البحر «بيوك دره» اي
 الوادي الاعظم و«صاري» اي الارض الصفراء من متنزهات الاستانة على الخليج

الابر

كثيراً ما قدنا في كتاب دائرة المعارف العربية للبستاني عن بعض أمم الشرق
 واديانها فلم نجد بطلاناً . ومن جملة هذه الاجيال « الأبر » فلا تجد لهم ذكراً في هذا
 الكتاب . مع ان جغرافي العرب ذكروهم في مؤلفاتهم وان لم يذكروا لنا التفاصيل
 التي ننتال الى معرفتها . فقد جاء في كتاب ابن الفقيه المسمى بكتاب البلدان
 ص ٨٣ من « اجمعة دي كوي مانصه : « و برجان و بلدان الصقالب و الأبر شمالي الاندلس »
 وقد نقل هذه العبارة بعينها وحروفها ابن خرداذبة في كتابه المسالك والممالك . وقال
 ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٩٨ عن بلاد هو « لا » الاقوام مانصه : « واما ما وراء
 هذه الاقاليم (الاقاليم السبعة) الى تمام الموضع المسكون الذي عرفناه فانه يبتدي من
 المشرق من بلاد ياجوج ثم يمر على بلاد التوغر و ارض الترك ثم على بلاد اللان ثم على
 الابري ثم على برجان والصقالبة وينتهي الى بحر المغرب » اه بحرفه وقال المسعودي في
 كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٢ « وحد الاقليم الخامس بحر الشام الى اقصى ارض
 الروم مما يلي البحر الى ترافية و بلال برجان والصقالبة والابر الى حد ارض ياجوج وما جوج
 الى حد الاقليم الرابع مما يلي نصيبين اطول ساعات نهاره خمس عشرة ساعة . » اه .
 وفي موضع آخر ص ١٨٤ من كتاب المسعودي المذكور ذكر الابري من سكان بلاد تجاور
 جبل التبق (قوقاس او قفاسية) قال : « وقرب من هذا الجبل من الامم كاللان والسرير
 والخزر . . . والابر و برجان والروس والبرغر . . . » وذكرهم مرة ثالثة في ص ١٩١
 قال : « ومن جارهم (اسي الروم) من الممالك من برجان والابر والبرغر والصقالبة
 والخزر وغيرهم . »

ولم نجد لهم ذكراً في سائر كتب مؤرخي العرب وواصي البلدان منهم فلا الطبري ذكرهم
 ولا ابن الاثير ولا ابن خلدون ولا غيرهم من كبار المؤرخين . ومن بعد ان بحثنا عنهم
 وجدناهم انهم هم الذين يسميهم الا فرنج *Reo Alvares* وذكرنا اننا نلخص عنهم ما كتبوه اتملماً
 للفائدة وسدّاً للثغرة الموجودة في كتبنا التاريخية والجغرافية .

الابر جيل من الناس مثله في بلاد التتروهم فروع من فروع قبيلة الهوثة . وكانوا
 قد ضربوا خيامهم بعد ان هجروا بلادهم الاصلية في نواحي جبال الالطاني . ثم طرأت

عليهم طارئة من الصبنيين سنة ٥٥٢ م فطردتهم من مقرهم وافنت جماعات منهم .
ومن نجاح منهم فزعموا الى جهات بلاد اوربا فقطعوا نهري الاثل والدون سنة ٥٥٧ ثم
خيموا بعد برهة على شطوط الطونة . وما عتقوا ان ناوأوا ملوك الروم وقياصرتهم ونشلوا
منهم سنة ٥٨٢ داقية وفتونية ومن هناك انتشروا ولا انتشار الجراد في بلاد جرمانية في
شمالي الطونة حتى بلغوا ايطاليا . واول ما خضدت شوكتهم كان سنة ٦٢٦ تحت
أسوار القسطنطينية فان هرقل الملك كسر شيخهم « بيان » وكان حليفاً لكسرى . ثم
دوخهم كل التدويخ شرلمان من سنة ٧٩١ الى سنة ٧٩٩ وحينئذ دانوا بالنصرانية . وكان
الابر طوبولي النجاد محبين للحروب وقد اشتهروا بالمكنر والكنكر والخذعة في الفر والكر .
واما مساكنهم فانهم لم يأووا الى غير الخيم والمضارب . ولم يعرفوا من المدن الا الاحوية
جمع حواء وهي جماعة بيوت الوريثانية وكانوا يقيمون على هيئة دوائر عظيمة
وتسمى عندهم « رنك » اي جمع حلقة لاستدارتها . وكان يسمى شيخهم باسم
« اخان او الخاقان »

اما حدود بلاد الابر فقد اختلف باختلاف العصور ففي عهد معظم انتشارها اي من
سنة ٥٩٠ الى سنة ٦٣٠ كانت مملكتهم تشمل فلولت شمالي الطونة من لوزاقا الى
ماوراء الدون . وعند افول شمس القرن السابع للمسيح تقلصت حواشيها حتى كان في
شمالي بلادهم وغربها ديار الاله والوند والجيک (اي بلاد بولونية وسيلسية ورنديج
وبوهية على التسمية الحديثة في عهدنا هذا) وفي شرقها كان الخزر وكان موطنهم
يومئذ بين البوك وديبر .

وبعد ان خرب شرلمان ديارهم سنة ٧٩٩ لم يبق منها الا الصقع الغربي بين نهري
« التيس والان » وهذا ايضا جعله مقاطعة لدولة الافرنك باسم « أرية » واما ما بقي من
تلك الربوع فقد احتلها المجري الهنكاريون . وفي بلاد الجركس في عهدنا هذا بقية
من الابر تقيم على مخدركوه فاف الشمالي بين الاكسائي وشرداغ ويبلغ عدد بيوتهم
اليوم ١٢٠٠٠ وكلهم يدينون لخان كبير خاص بهم . ومعيشتهم من الصيد والغزو
والنهب والسلب . وهم يرجعون في الحكم الي قيصر روسية . — هذا ما اردنا ايضاحه
وفوق كل ذي علم عليم
بغداد : سانسنا

نظرة في النظرات

أخرج هذا الكتاب للناس في هذا العهد والامة في برازٍ دائم بين القديم والحديث يريد بها الاول على البقاء على الريث من تالدها مما ورثته بحكم الطبع أو التطبع ويضطرها الثاني إلى التجرد عما يأخذ بخنائها من العادات والتقاليد العتيقة التي أخفى عليها الدهر والاخذ بالجديد المفيد المنطبق على حاجات العصر اليوم .

وها نحن اولاء نرى بين علماء الدين في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن من يتسائلون عما إذا كان تعليم العلوم المادية الطبيعية والثور على دراستها حراماً أو حلالاً بينا نرى بعض المفكرين من الباحثين العالمين يشهرون على اولئك حرباً عواناً تدير رحاها الاقلام مصرحين انهم لا يدبتون بسوى القوة والمادة اللتين هما من مظاهر الطبيعة ويضربون بكل علم عرض الحائط اذا لم يكن من العلوم المادية الطبيعية أو منطقاً على نواحيها الصحيحة أو موصلاً إليها متمماً لها فخرى يبالغ في اعظام الخيال ويغالي في البحث فيها وراء المادة وفريق لا يعرف غير الحقيقة المادية مذمها .

ألا وان هذا البراز الحيوي لم يكن مقصوداً على العلم فقط بل تناول عامة شؤون الحياة وفروع الفنون الاخرى فكان للأدب النصيب الاوفر منه فانا مازلنا ولا تزال نرى بعضهم لا يرى للشعر من المكانة العالية الا اذا كان قائله كالنبي زهير وابن معنوق والشاب الطريف ويحبسون أن الكلام الطريف هو ما جاء في «ريحانة الادب» وأشباها غير معتمدين بما عداها من الكتب الممعة مثل «نهج البلاغة» و «الغرة اليتيمة» و «كلىة ودمنة» وما جرى على أسلات السنة الشعراء المتقدمين كالشريف الرضي والمتنبي والمعري وغيرهم من المتأخرين ممن جمعوا إلى التراكيب العربية الفصيحة الافكار الغربية الصحيحة كما انهم لا يعدونها شيئاً مذكوراً .

في كل حركة تقوم بين ظهري هذه الامة المنبسطة لا اله في هذه المملكة المتناثية الاطراف تشهد مثالا مجسماً من مبلغ تأثير تنازع البقاء وتقرأ فيه التجرد نقياً لا يشوبه شوب القديم فتسندل منه على تقدم الامة في أفكارها وآرائها وأن ما يناله القائلون بالتجديد من خصومهم الاعداء المكابرين لا يد من وقوعه مادامت الامة جاهلة خاملة وما دام من كتب لم العلم والتباهة أفذاذ لا يزال تأثيرهم من الضوول والحوول بحيث يتراجع لافل ربح نصف .

وبعد فلا بدع إذا بودي الاستاذ المنفلوطي صاحب هذا الكتاب لاول وهلة بما ناله من معارضة من بذاءة اللسان والتسفيه في القول مانجله عنه لانها سنة في المحدثين منذ القديم . فهذا غشتاف فلور الكاتب الفرنسي المعروف كان يحقنره معاصروه وبهزؤون بكتاباتنه وآرائه حتى يحمله ذلك على البكاء كالامفال الصغار ويشرع بخاطب زملاءه زولا وكونكور ودوده بقوله : « بربكم أنشوفي لم لم تنل هذه المؤلفات الاستحسان الذي أنطلبه » فتأخذهم رعدة الكتابة والحزن فيبكون جميعا — هذا الرجل الذي كان في عصره بهذه المثابة ولم يكتب لاثاره أن يرتاح لها الرأي العام أصبح القوم اليوم يعبدونها ويمجدونها ويسبحون بحمدها .

امامي الآن هذا الكتاب انظر إلى الصفحة الأخيرة منه بمدان كنت قرأت معظم فصوله في الصحف وكانت نظري اليه في المرة الثانية ومقالاته مجموعة في سفر خاص غيرها في الاولى . اذ كنت أطلعهم وأنا ألقى عليه في مفكري بعض ما أخذت به منشئه ورأيتهم مما يجدر ان ينبه عليه مثله على افي قرأت ما كتب عليه في الجرائد والمجلات فأذا به لايبيل غيلا ولا يغني فتيللا : اذ دل على ان باب « التقريظ والانتقاد » لم يفتح عندنا كل الفتح ونخشى ان طال علينا الامد ان يصيبه ما اصاب باب « الاجتهاد » .

وقد افردت لكل من « أسلوبه » و « موضوع » و « آرائه » و « لغته » و « وصفه » بحثا خاصا سأتكلم على كل واحد من على حدة وافية بالاماع الى شذرة من « روح المؤلف » ، وذلك بقدر ما كنتي الفرصة من القيام به ، وهذا في اليه البحث والنظر .

١ أسلوبه

مما كتبه « المنفلوطي » في مؤلفه هذا قصص جمة كانت هي الباعثة لي على الخوض في غار هذا الموضوع ولذا فأنا انظر اليه في هذا البحث نظري الى قصصي أريد ان أبين طريقتنه في الانشاء وأحاول ان اردّها الى مذهب خاص مما انشاء ادباء المناربة في تاريخ آدابهم . اذ لكل كتاب ادبي قصصي اسلوب خاص ينهج فيه مؤلفه المنهج الذي يراه انه امتع وانفع ووافي طبعه في الغالب او يتبع في ذلك سنة الارتقاء :

قامت في اوربا مذاهب شتى ^(١) في الادب القصصي منذ القرن السابع عشر حتى اليوم وكلها حلقات من سلسلة تاريخ الادب عند الزريبين . فمن هذه المذاهب مذهب

^(١) معرب عن فصول من كتاب « المصنفون والمصنفات »

يرى زعماءه ان الغاية من الصناعة هو اصلاح الانسان وتعزيزه لتخفيف آلامه عند حلول المصائب والنواب . فنجدهم يضعون قلوبهم وافكارهم في كتبهم بدعوى انهم يتأثرون بهذه هذه تتورث اثره القراء . وان ذوق كاتب القصة الشخصي لتمثل في تضاعيف كتابه قراء يخلق اشخاص الوقائع ليصف شعوره الذاتي وشوقه المبرح به نابذاً العناية بربث العواطف في ابطال الرواية ظهرياً . من اجل هذا ندر ما استفاد التاريخ وعلم الاجتماع من امثال هذه المؤلفات .

وما يحلمهم على ذلك الا مشيهم مع شعور القراء وتنزلم من عقول العامة لان هؤلاء اعتادوا ان يعيشوا مجردين عن الحقائق العادية وانهم ليشربون من مطالعة صفحات حياة الانسان كما هي . ولذا كانت خطتهم في الروايات ان يجعلوا الوقائع والاشخاص على هيئة خيالية « *Ideal* » يوم كانت يستفيض على الالسنه انه من اللازم اللازب الاختلاق في الروايات وكانت القصص السامية والاشعار الرقيقة الحافلة بالشعور ليس لها مكانة عالية . وقد سمي هذا المذهب

(*Idealisme* مذهب الفكرين)

وهناك مذهب آخر سمي بالانشاء بدعي « *Romantisme* » — مذهب الخياليين وهو كما عرفه ستاندال هوب : عبارة عن « صناعة تمثل نتائجها الادبية ما يلائم معتقدات الاقوام واغوارهم وعاداتهم في الحال الحاضرة مما يبعث في نفوسهم سروراً ونشاطاً » بل هو كما يقول النقاد الشهير بروثير : هو « ان لا يعرف الصانع سوى ذوقه وتهوساته وخيالاته قاعدة واصلا » بل كما قال اميل فاكي : « ان روح الرومانتيزم الحقيقية هو الحذر من الحقيقة وان يكن لها الصانع في صدره موجدة ونفورا » قالوا : وهذا الحذر يتم باستسلام المفكرة للخيالة كل الاستسلام وليس في هذا المذهب مشاهدة ولا تحييق ولا ترصد كما انه ليس ثمة معقول ولا محاكمة ولا منطق لان هؤلاء كلها امور تدبر للحقيقة المادية — هذا هو اصل الرومانتيزم .

ومن المذاهب التي نشأت وشاعت المذهب التاريخي الذي كان زعماءه يعنون بوضعه في الروايات التاريخية فيعرفون الحقائق التاريخية عن مواضعها ومن التزوير والافتئات بحيث كانوا يطبقون قواهم الخيالة وعامة ما يخترعونه من الافكار على الوقائع والحداث . فالتاريخ عندهم كما قال اسكندر دومانيس « مسار يستعينون به على تنسيد الواهم » فليس لديهم من ثم فكرة سوى انهم يعملون على ادخال البشر والارتياح في نفس القاري . بيد ان لجمال

الاسلوب ورقة الوصف عندهم مكاناً من العناية . واملثل نموذج لهذه المؤلفات التاريخية واحفلها كتاب « خمسة آذار » لالفريد دوفيني و « نوتردام دو باريس » لفيكتور هوغو .

وقد نشأ مذهب جديد يدعي بمذهب الطبيعيين « Naturalisme » ومن اخص مميزاته هو ان زعماءه وسعوا دائرة القصص واخذوا يبحثون عن ملجأ تلوذ به اشخاص القصة خشية ان تخوض عباب الوقائع الغريبة التي يشتملها بعض الكتاب لتكون النتيجة اما الانحار او الزواج واصحاب هذا المذهب ينظرون الى ذلك الضرب من القصص نظراً الى العوبة يتلبس بها الفتيان والفتيات . والذي يعنون به اليوم هو صفحات التبع فشان القصة عندهم بنسبة مائيه من صحيح الوصف وحديث الوقائع .

ومن انصار هذا المذهب من القصصيين ممن جردوا الروايات من شوائب الكذب والاختلاق بعد فلوير اميل زولا ومو باسان الكاتبان الفرنسيان المعروفان ونشأ عن هذا مذهب آخر يدعي « Impressionnisme » امبرسيونيزم . والفرق بين هذا ومذهب الطبيعيين هو ان زعماء المذهب الاول يعنون بابلاغ العواطف وآثار ما ولدته فيهم الحقيقة وهم يرون ان « الحقيقة واسطة » . اما انصار الثاني فانهم مستثقلون عن الذاتية وما همهم الا تتبع الحقيقة كما هي على حين يترجم زعماء الامبرسيونيزم الطبيعة اكثر من ان يعيدوها مرة اخرى . وعلى هذا كان ولاجرم مذهب الطبيعيين اتمن وارصن وقصصهم اعظم مهابة ووقارا .

وهناك مذهب جديد وضعه الكاتب الفرنسي الشهير « بالزاك » وانضوى تحت لوائه كبار المتأدبين ممن اثروا اثرًا محموداً في نهضة الآداب الفرنسية الا وهو « مذهب الحقيقيين Realisme » وقد اتم وضعه فلوير بمصنف له سماه « مدام بوفاري » وقد سبق هذا الرجل بالزاك وستاندال ومريمي فاذا قوا الفرنسيين بمصنفاتهم طعم الحقيقة ولكنهم لم يكسروا سورة شؤتهم باسرها ولم يتعد تأثيرهم في نفوس القراء ابقاها الحقيقة فيهم . ولكن مصنف « مدام بوفاري » علم الناس اجمع ماهو مذهب الحقيقيين بما تري في تضاعيفه من وصف الحياة بما فيها من اضطراب وضوضاء باجلى تعبير واوضح بيان .

وطريقة « بالزاك » في قصصه هو انه يبدأ أولاً في تعريف الاشخاص ويأتي على

تصوير المكان الذي فيه يعيشون والبيئة (المحيط) التي في ارجائها يحولون وما يحوي المكان من اثار ورياش ثم يذكر الخلق واجسامهم وما يلبسون وبكثون من اربعة حتى انه يرسم خطوطهم الجبهية واخيراً يتفخ فيهم من روح الحقيقة فينطقون ويشركون .

هذه هي « الطريقة العلمية » التي يتحومها العلماء والعقلاء من كتاب اوروبا في التاريخ والادب ولا يهمهم ما يكتبون سوى انهم يمثلون الحقيقة للقراء عارية باشع واشنع مظاهرها غير هيايين ولا وجليين . وثمة من المذاهب ما كنت اود ان آتي على ذكره هنا لولا اتي توخيت في هذه « النظرة » الانيجاز مثل المذهب الرمزي (سنيوليزم) والمذهب الفني (كلاسيكيزم) وغيره من المذاهب .

وبعد فلم تقدم بين يدي القاري هذه المقدمة التي نرجو ان تكون الممنا فيها بطرف من مذاهب الكتاب الا استطيع ان نحكم على بعض فصول « النظرات » القصصية ونضعها في المحل الذي يجب ان نحل فيه بين هذه المذاهب كلها .

لاجرم ان الناظر في هذا السفر والمطلع على هذه المذاهب يعلم ان المنفلوطي جرى في كتاباته مجرى الخياليين وانه يجمع بين هؤلاء ومذهب الفكريين في الاحايين . فهذه مقالته الكأس الاولى ^(١) و « عبرة الدهر » ^(٢) يتجلى فيها الخيال باحفل مظاهره . فقد سمع صوت المؤلف في الاولى عند قوله : « وما كان له وهو يهيم الخ . . . » وكذلك عند قوله فيها : « والمنظر المتكرر لا يلفت النظر ولا يشغل القمن » . وقد اورد على لسان الشخص المريض الشاخص بصره الى السماء — ذلك الرجل الذي لم يبق منه الا اهاب ممزق — حديثاً لاقدرة لاصحاء الاجسام على ايراده في مثل تلك الحال وقصد المنفلوطي ان يبين سبب الادمان على الخمر فجعل ذلك بلسان المريض ذاكرة ان كل كأس شربها جرعتها عليه الكأس الاولى وان لبس الباعث على ذلك غير قصور عقله عن ادراك خداع الخطاء وبين « ان الخونة الكاذبين خدعوه عن نفسه خداعاً ليستكلوا بانفسهم اليهم لدهم التي لا تتم الا بقراع الكؤوس وضوضاء الاجتماع » ثم عاد المنفلوطي واظهر شخصيته فقال : « ولو علمت كيف خدعوه وزينوا له الخروج عن طبعه ومألوفه واي ذريعة تذرعوها بها الى ذلك لتحققت انه ابله الى النهاية من البلاء وضعيف الى الغاية من الضعف » وقد حكم عليه بالبلاء ولم يذكر عن تربيته

(١) ص — ٥ (٢) ص ٢٥

ما يفهم منه انه على غرارة وسذاجة بل الذي تبين انه كان صديق المؤلف وارتباطه بالصدافة يقضي بان يكون فيما احسب على غير ما ذكر .

وفي مقالة عبدة الدهر دليل آخر على مذهب الخياليين وهو ذكره (صاحب القصر) بانه فاسد الاخلاق وإغفاله البحث في ان يذكر عن نشأته الاولى شيئاً تبين منه ان بين جنبه نفساً ملوئاً بالرزائل . وكان عليه ان يصف (بلالا) الخادم الذي جعله في موقف الحكم الحكيم وانه من المبادئ العالية ماهو كيت وكيت وان يذكر طرفاً من حنى زوجته وتلفها على زوجها الذي كان يقضي الليالي الطوال وهو يداغ أزواج المحارم بمثل ما يداغ غيره زوجته . وهذا نقص كبير وخطأ فادح في الاسلوب . ولكن المنفلوطي كما اسلفنا لم يهتم في الحقيقة اهتمامه الزائد في ان تكون قصته جامعة للجمال الاسلوب الخيالي الذي ضمنه حكماً بالغة وعواطف شريفة بدون ان يتبين المواقف التي يقف فيها الرجل النر الغمر موقف المرشد الحكيم .

ومما يستدل فيه ايضاً على تنكبه جانب الحقيقة سؤال (صاحب القصر) (بلالاً) في اي ساعة نحن من ساعات الليل فاجابه في الساعة الاولى ثم ذكر المؤلف ان الخادم لم يصل من الحديث الى حد معين « حتى نصل خضاب الليل واشتعل المبيض في مسوده » على ان ذلك الحديث يذكر في بضع دقائق ليس الا . . .

هذا نموذج مما ذكره المنفلوطي من الفصول القصصية ومن تشریح اسلوبه يعلم انه احتذى مثال (الخياليين) في انشائه . وكل من نزع الحركة الادبية في المشرق يعلم انها مسوقة نحو الكمال بحكم ناموس « النشوء والارتقاء » وان كتاب المنفلوطي هذا هي احدى الحلقات من سلاسل الآداب التي لا يتم البحث بدونها .

وانا نودع باستقباله وماضته من اسلوب جديد وتشبيه رائق واستعارات نفحة ذلك الاسلوب الخيالي المحض في كتاب « كليله ودمنة » وهو من تاريخ آداب المشرق بمثابة « لافوتين » من آداب المغرب كما ان غيرنا ودع بما عر به عبدالله بن المنفع كتاب « الف ليلة وليلة » واقاصيص « عشرة » الممزوجة بالابطال الخياليين كما كان بها وبامثالها بدنه « فننا الادبية القصصية كما كانت « الإلياذة » باكورة نبضة الغرب في الآداب وفاتحة رقيهم وتقدمهم .

وجديرٌ بكبار ادبائنا العالمين وهم يرون الغرب كل يوم يخطو خطوات واسعة نحو

الحقائق ان يقتفوا آثار مذهب الحقيقين باطراحهم مذهب الخياليين جانباً وان يطيلوا الفكر والتعقيب فيستبدلوا الاحياء بالاموات ويستعوضوا بالارواح عن الاشباح وكفى .



موضوعه

قسم المنفلوطي كتابه الى عشرة فصول : (١) الرسائل العلمية (٢) الرسائل الادبية (٣) الرسائل الاخلاقية (٤) الرسائل الاجتماعية (٥) الرسائل السياسية (٦) الرسائل الدينية (٧) الدرر (٨) الرسائل (٩) الروايات (١٠) المراسلات . ويجب ان نذكر هنا قبل كل شيء ان المنفلوطي لم يحسن تبويب الكتاب فقد ذكر مقالة « افسدك قومك » في الرسائل « الاخلاقية » وكان الاولى ان تكون في « الرسائل الاجتماعية » كما انه ذكر مقالة « مدرسة الغرام »^(١) وفي « سبيل الاحسان »^(٢) في الثانية في حين يقتضي ان تكون من موضوعات الاولى . وانت اذا اردت ان تنزل هذا الكتاب المنزلة الخلق بها من حيث علاقته بالعالم والاجتماع والسياسة والاخلاق رأيت ان يضرب في الاخير منها بسهم وافر ويجري منه على عرق .

تقرأ روح الاخلاق في مقالة الكأس الاولى و « ابن الفضيلة » و « الغني والفقير » و « عبرة الدهر » و « مدينة السعادة » و « الرحمة » و « الصدق والكذب » و « الانصاف » وتراه ايضاً يتعرض للموضوعات الاجتماعية فلا يلم بالبحث فيها من عامة اطرافها على حين تستدعي درساً يلعب المره فيه قراره ليستقط الناظر فيها على حقيقة ناصعة او علم جم او فكر جديد .

يدلك على هذا بحثه عن المجرم في مقالة « افسدك قومك »^(٣) فانا لاننكر عليه انه ذكر فيه ما يفهم منه انه يحمل الذنب على المجتمع البشري وعلى التربية الاولى وعلى القانون وعلى غير ذلك شأن كثيرين ممن قاموا اليوم في اوربا يحامون عن المجرمين ويعدونهم كالبائسين يستحقون الرحمة ويطلبون تعديل القانون الجائر لتخفيف ما ينزل بهم من الويل والشبور . ولو كان المنفلوطي من كتاب الحقائق لتوسع في هذا البحث وقرأ ما كتبه الامايه في هذه المسألة لتتم الفائدة .

ثبت مؤخراً بعد الفحص الطبي^(٤) ان الجناة من نقص ملكاتهم المادية والادبية استعداداً لما يوقعونه من الجنايات منذ زمن مديد . وقد فحص « بنديكت » احد

مشهوري اطباء فينا ادمغة كثير بن ممن يقترون الجنائيات الكبرى فوجدوها بأسرها مؤلفة غير تامة التركيب ، وهذا الرجل يعد الجنون والجنابة صنوان . ويرى رأيه هذا الدكتور « بوردي » الفرنسي وقد بحث سيف ادمغة ستة وثلاثين جانباً حكم عليهم بالاعدام فرأى الناحية الجبهية مصابة والناحية الجدارية واسعة جداً . وهذا يدل على نقص القوة العاقلة والشعور والميل الى الخلق والتزق . وقد نظر « غاروفالو » احد مشاهير علماء الجزاء في ايطاليا في الجناة فلم يجد واحداً منهم خلواً من امارات مادية وادبية تحكي الانسان الاول .

وما ظهر من الحقائق الجديدة من امثال هذا الاستقراء والاستقصاء هو موضوع الرأي العام في اوربا في شأن تنظيم الجزاء . حتى نشأ عن هذه التجارب الطيبة علم جديد يسمى « علم الجرائم البشرية » — أتروبولوجي كرمبيل « وكان للايطاليين اليد الطولى في خدمة هذا الفن الجليل

نال المنفلوطي من المدينة الغربية في كلامه عليها مالا ارضاه ولا يرضاه له كل من درسها حق دراستها وبحث فيها بحث العالم المتجرد عن المؤثرات دينية كانت او قومية لاجتنب خطيب او اديب او شاعر او واعظ مرشد داع الى وطنية او اخلاق .

ورد في قوله هذا كلام ثلة من حملة الاقلام ممن لهم من اخلاقهم عصبية قومية او نعة شرقية وسواء عندي كان قولهم هذا بدافع الوطنية او الدعوة الى احياء آثار محمد لنا دثر معلما . او الاحتفاظ بما ابقى لنا آباءنا من تراث عاداتنا خشية ان يخالطها الضعف او تمازجها لوثة من لوثات الفساد فينشأ ناشئهم وقد انحل من وطنيته كما انحل من دينه وداخل الفساد اخلاقه كما اصاب عاده ومنازه

واني اشاركه في كل ما جاء في تلك المقالة الا في قوله : « ان دعوانا الى الحضارة فله ضرب لم مثلاً بحضارة بغداد وقرطبة وثيبة وفيينية لياريس وروم ، وسويسرا ونيو يورك ، وان دعوانا الى مكرمة فانسرد عليهم آيات الكتب المنزلة واقوال انبياء المشرق وكتابه لآيات روسو وباكون ونيوتون وصنفسر ، وان دعوانا الى حرب فني تاريخ خالد بن الوليد وسعد ابن ابى وقاص وموسى بن نصير وصلاح الدين ما يغنينا عن تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطن ونلسون وبلوثر (بلوخر) ، وفيه وقائع القادسية وافر بقية الحروب الصليبية ما يغنينا عن وقائع واترلو وترفالغار واوسترليتز والسبعين » هذا ما كتبه المنفلوطي الى ابناء القرن العشرين من المشاركة وهو يريد ان يربوا

تربية مدنية عملية يصدون بها غارات الاجانب التي يشنونها عليهم من كل صوب وأوب وهذا هو السلاح الذي يحمل الشبهة المصرية على ان يتسلحوا به ليقاتلوا اعداء الوطنية ويخرجوا من ديارهم من ابتزوا اموالهم وغلبهم على امرهم وكل يوم يربشونهم بسهام التعصب والبطش من الحكمة ان يدعوا القائم بالاصلاح الى قومية او وطنية لكن بدون ان يزدريه مدينة الامم الاخرى الناهضة ويعمل على الحط منها وهم الذين بها وطدوا دعائم استقلالهم ورفعوا متار محمد وسودوم

وما ادري كيف نقوم لنا نحن معشر المشاركة قائمة اذا اقتصرنا على ماورثناه من المناحي والمنازع واقبلنا على الاخذ بما لباه لنا آباؤنا الاولون من الآثار فقط بدون ان نعلم النظر في آداب رجال الغرب واخلاقهم وعاداتهم وتاريخهم وبالجملة نقف على مسر تقدمهم ولا اعلم لاي غرض نعتي بارسال البعثات العلمية الى البلاد الاوربية وتنادي على رؤوس الاشهاد ان هذا هو الذي يحقق لنا الامل في المستقبل اذا لم يكن المقصد منه درس تاريخ نابوليون وولنجتون وواشنطن ونيلسون وبوخز ووقائع واترلو وترافلغار واوسترليتز والسبعين او لننبل حتى نرؤى من آداب روسو وباكون وزولا والفريد دوموسه او انتبطن امرار فلسفة ديكارت وباكون ونيوتن وسبنسر وغيرهم .

ويجب ان لا يغرب عن الاذهان ان ماتوفر لقواد المغاربة من الاسباب والوسائل في بيستهم وبين بني جنسهم وما كان يحول في خواطرهم من الاماني التي كانت المصالح تدفعها للانبعاث الى حيز الوجود غير ماتوفر لقواد المشاركة من العرب وغيرهم على اقتحام عمرات الردى في سبيل الدفاع عن الحى وهذا ما يدعو لاختلال التوازن في الدهاء السيامي في الفريقين بما يتذرع به من الحيل الحربية والدسائس في مثل هذه الاحوال للنظر في كتاب الغيب وقراءة مستقبل الامم فيه مما ينجم عنه ما نراه من الاختلاف في نتائج الحروب والمعارك نصرا كان او خذلا

وسواء صححت نظرية من زعموا ان من دواعي سقوط الدولة العربية جهل الامة بتاريخ اليونان والرومان اولى تصح فان فيها حقيقة لا اخلاها تخفى على امثال الاستاذ المنفلوطي . واذا اتخذنا هذه النظرية اصلا جاز لنا ان نبشر مساعينا بالاختفاق والحبوط ونحكم على حياتنا الاجتماعية والسياسية بالانحلال والاختلال في مستقبل الايام اذا قادنا الجبل الى ان نخرم على انفسنا الوقوف على سر استبحار عمرانهم وانبساط ظلال مدنيته في طول البلاد وعرضها فنحرم من الاستمتاع بعلمهم وآدابهم .

ولو كان قوله هذا درساً بليغاً على صغار العقول من الطلبة الاطفال ليطبعهم بطابع حب الوطن ويشأوا وهم يفادون في سبيله بالنفس والنفيس لما أخذ بقدر ما يؤخذوهو في موقف ودع فيه — كما قال عن نفسه — « الخيال والشعر وداع من يعلم ان الامر اعظم شأنًا وأجل خطراً من ان يعث به العايب بامثال هذه الطرائف التي هي بالهزل اشبه منها بالجدد والتي انما يلهو بها الكاتب في مواطن فراغه ولعبه لا في مواطن جدده وعمله »

الا فليعلم الكاتب ان في الغربيين من العادات ما هو خليق بنا نحن الشرقيين ان نغبط به ونأخذ بالنافع الرافع منه والرجاء ان لا يظن باننا بما نكتبه الآن نخدع الامة عن نفسها او نفسد عليها شريقتها بتزييننا لها هذه المدنية تزييناً يجمع الى استقلالها النفسي استقلالها الشخصي فاشد واهم الحق ما نكون محتفظين بعاداتنا العربية الشرقية وآدابنا ولكن ما نراه من تيار المدنية الغربية يريدنا على مجاراتها شتتاً ام ايئناً فان لم نعد لها عدتها ولم نسرمعها جنباً الى جنب دحرتنا وربما اوردتنا موارد الهلكة غير حافلة بنا ولا آسفة علينا .

ومما انكره عليه ايضاً تعرضه في مقالة الحساب^(١) لولي عقله واستاذه رجل الاسلام الشيخ محمد عبده ورجل المرأة قاسم بك امين . ولو اقتصر على ذكر (الحسن) وذلك الرجل الذي كان في حياته يتخذ في اعماله ما يسمونه (الحيل الشرعية) وذلك (القطب) الذي كان اكبر تاجر من تجار الدين — لو اقتصر على هؤلاء لكان احسن صنعاً . وجل ما آخذ به الاول هو انه « فاجاً جهلة المسلمين بما لا يفهمون من المبادئ الدينية الصحيحة والاغراض الشريفة فأرادوا غير ما اراد وفهموا غير ما فهم . وهذا ماداً الى الحادهم (!) ومروقههم من الدين (!) بمد ان كانوا مخرفين وانه اول علم بمض آيات الكتاب فالتخذوا التأويل قاعدة حتى اولوا الملك والسيطان والجنة وبين لهم حكم العبادات واسرارها وسفه لم رأيهم في الاخذ بقشورها دون لبابها فتركوها وانه قال لهم ان الولي آله باطل والله آله حق فأذكروا الالهية حقها وباطلها »

« يتبع »
دمشق : صلاح الدين القاسمي

اخبار العلماء باخبار الحكماء

من الكتب الجيدة في التراجم هذا الكتاب للوزير جمال الدين ابي الحسن علي القفطي من اهل القرن السابع طبع اولاً في ليبسيك واعيد طبعه في القاهرة فتداولته الابدي وعم الانتفاع منه كما عم من قبل بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء^(١) لموفق الدين ابي العباس احمد المعروف بابن ابي أصيعة من اصل ذلك القرن الا ان كتاب اخبار الحكماء مال فيه صاحبه الى الاختصار حتى جاء في نحو نصف طبقات الاطباء وان كان زاد عليه بضع تراجم لان المترجمين سيفي كلا السفرين التفسيرين تجاوزوا الاربعمائة

سرد ابن القفطي اسما مترجمه على حروف المعجم بحسب تقادم عهدهم بخلاف ابن ابي أصيعة الذي اتى بالتراجم بحسب الاقطار ثم بحسب سني ولاداتهم ولم يشبع الاول الكلام الا في بعض الأشخاص وربما اوجز في الاحايين يمحاذراً لا يكاد يقع فيه ابن ابي أصيعة الا نادراً والغالب ان هذا وقف في جملة ما وقف عليه من الكتب كتاب القفطي فاستعان به وزاد عليه لان هذا توفي سنة ٦٤٦ في حلب وابن ابي أصيعة توفي سنة ٦٦٨ في صرخد من بلاد الشام ولا يعقل ان يكون رجلاً من متعاصرين ولا يطلع احدهما على ما يكتبه الآخر فقد نرى بعض التراجم بالحرف الواحد في الكتابين ولعل المصادر التي اخذ عنها المؤلفان كانت واحدة فجاءت بعض تراجم مترجمهم بعبارة واحدة

ومع ان ابن النفطي اشتهر بانه من كبار غلاة الكتب^(٢) وهو ذو ثروة واسعة وفي منصب الوزارة نرى ابن ابي أصيعة وهو من طبقة الاطباء في عصره يهدي كتابه الى احد وزراء دمشق ومع هذا نقرأ فيه سعة المادة المدخلة ولكن المتأخر قد يفوق المتقدم ولا عبرة بتقادم الميلاد كما لا عبرة باختلاف البلاد اذا كان الترفي فيها علماً وهذا لا بأس بايراد طرف من ترجمة صاحب اخبار الحكماء زيادة في البيان فهو علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى وزير حلب الفاضل الاكرم^(٣) الوزير جمال الدين ابراهيم بن الحسن بن القفطي احد الكتاب المشهورين وكان ابيه القاضي الاشراف كاتباً ايضاً ولد بقطف من الصعيد الا على بالديار المصرية وانما لمجلب وكان يقوم بعلوم من اللغة والنحو والفقه والحديث وعلوم القرآن والاصول والمنطق والنحو والهندسة

والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة ستين وخمسمائة وتوفي سنة ست واربعين وستائة
وكان صدراً محشواً كامل السؤدد وجمع من الكتب، الا بوضف وقصد بها من الآفاق
وكان لا يحب من الدنيا سواها ولم يكن له دار ولا زوجة واوصى بكتبه للناصر صاحب
حلب وكانت تساوي خمسين الف دينار وله حكايات غريبة في غرامه بالكتب وهو
اخو المؤيد ابن القفطي ومن شعره

ضدان عندى قصر امني وجه لحي ولسان وقاح
ان رمت امرأ خائني ذو الحيا ومقول يطمعي في النجاح
فانشي من حيرة منها لي مخب ماض ومالي جناح
شبه جيات فر من معرك خوفاً وفي يناه غضب الكفاح

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو ما اشتربه في اللفظ واختلف في المعنى
واخط . كتاب الدر الثمين في اخبار المثمين . كتاب من الوت الايام عليه فرفعته ثم الوت
عليه فوضعت . كتاب اخبار المصنفين وما صنفوه . كتاب اخبار النحويين كبير كتاب اخبار
مصر من ابتدائها الى ايام صلاح الدين ست مجلدات كتاب اخبار المغرب كتاب تاريخ
اليمن كتاب المحلى في استيعاب وجوه كلا . كتاب اصلاح خلصاح الجوهرى كتاب
الكلام على الموطن لم يتم كتاب الكلام على صحيح البخاري لم يتم تاريخ محمود بن
سبكتكين وبقية كتاب تاريخ السلجوقية كتاب الاستثناس في اخبار آل مرداس
كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم كتاب مشيخة تاج الدين الكندي كتاب نهضة
الخطار ونزهة الناظر في احاسن من ظهور الكتب اه .

وعلى ماتوخى ابن القفطي من الاختصار في التراجم تسقط فيه على امور كثيرة وفوائد
غزيرة خصوصاً وان من الرجال من ترجمهم هو وحده ومنهم من تفرد بهم ابن ابى أصيبعة
ومنهم وهم الاكثر من اشتهر كما معاً في ترجمتهما مثل الذي نقله عن الخطيب امين الدولة
ابوالحسن علي الاباني العثماني الاموي القفطي صاحب القاضى الاكرم قال : « وكان من اجمل
من رأيت نباهة وفضلاً وبلاغة ومشاركة قال ادركت جلة المشايخ من اجلاء بلادنا
وهم مجمعون على ان الذي اردم اراثي اكثر قرى مصر واسس الجسورة المتوصل بها
من قرية الى قرية في زمن النيل هو ارثيميدس فعل ذلك لبعض ملوكها وسببه ان اكثر
القرى بمصر كان اهلها اذا جاء النيل تركوها وصعدوا الى الجبال المقابلة لها فاقاموا بها

الى ان يذهب النيل خروفاً من الغرق واذا اخذ النيل في النقص نزل كل قوم الى اراضيهم وشرعوا في الزرع فكان ما تامل من الارض بينهم ما انجس فيه من الماء عن الوصول الى ما علا فلا يوصل اليه الا بعد جفافه فلا يمكن زرع فيه ذهب بذلك فعل كثير ولما علم ارشيدس بذلك في زمته قاس اراضي اكثر القرى على ما يكون من النيل واردم ردماً وبني عليها القرى وعمل الجسور مما بين القرى وفي اوساط الجسور قناطر ينفذ الماء منها من ارض قرية الى اخرى فزرع كل واحد منهم الزرع في وقته من غير قنات ووقف من كل ضيعة ارضاً معينة يصرف مغلها في كل سنة الى اصلاح هذه الجسور فهي الى الان معلومة ولها ديوان منرد بمصر يعرف بديوان مدن الجسور وعليها احتراز كثير وعناية كثيرة واعرف وانا طفل وقد اضيفت هذه الجهة بالاعمال الشرقية من جوف مصر الى والذي رحمه الله نظراً وله نواب وضمان ومشدون وكان العمل فيها اتعب من جميع الاعمال اهـ

ومثل قوله في ترجمة جالينوس الحكيم بان انطونيوس قيصر ملك اثنتي عشرة سنة وبني مدينة ايليوبوليس وهي مدينة بعلبك اي اصلحها وقد قال في ترجمة سنان بن ثابت بن قرة الحارثي مانعه : « وكانت منزلة سنان كبيرة عند الامراء والوزراء فمن ذلك ان الوزير علي بن عيسى بن الجراح وقع اليه في سنة كثرت فيها الامراض والالواء توقيعاً نسخته : فكرت مد الله في عمرك في امر من في الحبوس وانهم لا يخلون مع كثرة عددهم وجفاء اماكنهم ان تنالهم الامراض وهم معوقون من التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الاطباء في امراضهم فينبغي اكرمك الله ان تغرد لهم اطباء يدخلون اليهم في كل يوم ويحملون معهم الادوية والاشربة وما يحتاجون اليه من المزورات وتتقدم اليهم بان يدخلوا سائر الحبوس ويعالجوا من فيها من المرضى ويريحوا عنهم فيما يصقونه لم ان شاء الله تعالى . ففعل سنان ذلك ثم وقع اليه توقيعاً آخر : فكرت فيمن بالسواد من اهله وانه لا يخلو من ان يكون فيه مرضي لا يشرف متطبب عليهم خلوا السواد من الاطباء فتقدم مد الله في عمرك بانقاذ متطببين وخزانة من الادوية والاشربة يطوفون في السواد ويقبضون في كل صقع منه مدة مائة مائة الحاجة الى مقامهم ويعالجون فيه ثم يتقلون الى غيره . ففعل سنان ذلك وانتهى اصحابه الى سورا والغالب على اهله اليهود فكتب سنان الى الوزير علي بن عيسى يعرفه ورود كتب اصحابه عليه من السواد بان اكثر من بسورا ونهر ملك يهود وانهم استأذنوا في المقام عليهم وعلاجهم

او الانصراف عنهم الى غيرهم وانه لا يعلم بما يجيبهم به اذ كان لا يعرف رأيه في اهل الذمة
ومثله ان الرسم في بهارستان الحضرة قد جرت له ليلي والدمي . فوقع الوزير توقيعاً
نسخته : فهمت ما كتبت به اكرمك الله وليس يتناخلف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم
صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل
اهل الذمة فاذا فضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه صرف في الطبقة التي بعدهم فاعمل
اكرمك الله كآي ذلك واكتب الى اصحابك به ووصي بالتمتثل في القرى والمواقع التي
فيها الاوباء الكثيرة والامراض الفاشية وان لم يبدوا بذرة توقفا عن السير حتى يصح
لم الطريق ويصلح السبل فانهم اذا فعلوا هذا وفقوا ان شاء الله تعالى اهـ

وفي هذه الرسائل الثلاث نموذج مهم من الكتابة الرسمية في اوائل مدة العباسيين
ودليل على ما بلغته الحضرة في عهدهم ايام كان الطب من جملة ما يبيع به حتى ان سنان
ابن ثابت احصى الاطباء في بغداد ولم يرخص لاحد من ان يطيب الا اذا اخذ شهادة بكفائه
وكذلك فعلوا مع الصيادلة حتى لا تؤتى الامة من جهة طب ابدانها كما حاذر الخلفاء ان
لا تؤتى من قبل ادبانها .

وكما نجد الخامس ماثلة في اخبار الحكماء ترى المساوي كذلك كالذي ذكره في
ترجمة عبد السلام بن عبد القادر الجيلي المعروف بالركن قال : « كان عبد السلام هذا
قد قرأ علوم الاوائل واجادها واقتنى كتباً كثيرة في هذا النوع واشتهر بهذا الشأن
شهرة تامة وله تقدم في الدولة الامامية الناصرية وحصل له بتقدمه حدم من ارباب
الشر فثابه احدهم بانه معطل وانه يرجع الى اقوال اهل الفلسفة في قواعد هذا الشأن
فاوقعت الحفظة عليه وكآي كتبه فوجد فيها الكثير من علوم القوم وبرزت الاوامر
الناصرية باخراجها الى موضع يشهد يعرف بالرجبة وان تحرق بمحضور الجمع الجم منها
ففعل ذلك واحضر لها عبيد الله التيمي البكري المروفي بآبن المرستانية وجعل له منبر
صعد عليه وخطب خطبة له فيها الفلاسفة ومن يقول بقرن وذكر الركن عبد السلام
هـ هذا بشر وكان يخرج الكتب التي له كتاباً كتاباً فيتكلم عليه ويبالغ في ذمه وذم
مصنفه ثم يلقيه من يده لمن يلقيه في النار اهـ

ومثلاً نقله من الفقرة في ترجمة موسى بن ميمون الاسرائيلي الاندلسي لما نادى عبد
المؤمن بن علي الكومي البربري المستولي على المغرب في البلاد التي ملكها باخراج النصارى
منها وقدر لهم مدة وشرط ان اسلم منهم بموضع على اسباب ارتزاقه ما للمسلمين وعليه ما

عليهم ومن بقي على رأي اهل ملته فاما ان يخرج قبل الاجل الذي اجله واما ان يكون بعد الاجل في حكم السلطان مستهلك النفس والمال

ومما ذكره وهو ما يدل على اتساع ثروة العرب ^(١) في ترجمة بني موسى بن شاكر محمد واحمد والحسن من ان محمداً صار بالعلم من وجوه القواد الى ان غلب الاتراك على الدولة وذهبت دولة اهل شراسان وانتقلت الى العراق فملت منزلته واتسع حاله الى ان كان مدخوله في كل سنة بالخضرة وفارس ودمشق ونحوها نحو اربعمائة الف دينار ومدخول احمد ابيه نحو سبعمائة الف دينار . فتأمل مبلغ هذه الثروة

ومما يقتبس من هذا الكتاب انموذجاً على درجة الحضارة في القرن الخامس ما نقله من كتاب كتبه المختار بن الحسن بن عبدون الحكيم الطيب البغدادي المعروف بابن بطلان من نصارى كرخ بغداد الى الرئيس هلال بن الحسن بن ابراهيم ونسبه : « بسم الله الرحمن الرحيم . انالما اعتقده من خدمة سيدنا السيد الاجل اطال الله بقاءه وكبت اعداءه دانياً وقاصياً واقترضه من طاعته مقيماً وظاعناً اضمزت عند وداعي حضرة العلية وقد ودعت منها الفضل والسؤود والجد والفخر والمجد ان اتقرب اليها واجدد ذكرى عندها بالمطالعة مما استطرفه من اخبار البلاد التي اطرقها واستغربه من غرائب الاسقاع التي املكها خدمة للكتاب الذي هو تاريخ المحاسن والمفاخر وديوان المعاني والمآثر ليودع ادام الله تمكينه منها ما يراه ويلحق ما يستوفقه ويرضاه وعلى ذكره فمأربت احداً بمصر وهذه الاعمال اكثر من الراغب فيه وكل رئيس في هذه الديار متوق الىه متشوق ولو صوله مترتب متوقع ولو وصلت منه نسخة لبلغ الجالب لها أمنية في رجبها ونفعها والى الله تعالى ارجب في نشر فضيلته الباهرة ومحاسنه الزاهرة بجوده . وكنت خرجت من بغداد وبدأت بلقاء مشايخ البلاد وخواصها واستللاء ما عندهم من آثارها وعجائبها فذكر لي اخبار مستطرفة وعجائب غريبة واقطاع من الشعر رائقة ولضيئ الوقت وسرعة الرسول اضربت عن اكثره واقتضرت على اقله وكنت خرجت على اسم الله تعالى وبركته مشتهل شهر رمضان سنة اربعين واربعمائة مسجداً في نهر عيسى على الانبار ووصلت الى الرحبة بعد تسع عشرة رحلة وهي مدينة طيبة وفيها من انواع الفواكه ما لا يحصى وبها تسعة عشر نوعاً من الاغتاب وهي متوسطة بين الانبار وحلب وتكريت والموصل وسنجار والجزيرة وبينها وبين قصر الرصافة مسيرة اربعة ايام ورحلتنا

من الرصافة الى حلب في اربع رحلات وهي بلد مسور بالحجر الابيض فيه ستة ابواب
وفي جانب السور قلعة في اعلاها مسجد وكنيستان وفي احدهما مكان المذبح الذي كان
يقرب عليه ابراهيم عليه السلام وفي اسفل القلعة مغارة كان يجأ فيها غنمه واذا حلبها
اضاف بلينها الناس فكانوا يقولون حلب ام لا ويسأل بعضهم بعضاً عن ذلك فسميت
حلب وفي البلد جامع وست بيع وبيارستان صغير والفقهاء يفتون على مذهب الامامية
وشرب اهل البلد من صهاريج وعلى بابها نهر يعرف بقوبق يمد في الشتاء وينضب في الصيف
وفي وسط البلد علوة صاحبة البحري وهو قليل الفاكهة والبقول والنبذ الا ما يأتيه من
الروم (الاناضول) وما يجلب موضع خراب ومنه خرجنا من حلب طابئين انطاكية
وبين حلب وبينها يوم وليلة فبقنا في بلدة للروم تعرف بع فيها عين جارية يصاد منها
السماك ويدور عليها رحا وفيها من الخناوير والنساء العواصر والزنا والخمر امر عظيم
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سرّاً والمسافة التي بين حلب وانطاكية ارض مافيا
خراب اصلاً الا ارض زرع للحنطة والشعير يجنب شجر الزيتون وقراها متصلة ورياضها
مزهرة ومياها متفجرة وانطاكية بلد عظيم ذو سور وقيل وسوره ثلثائة وستون
برجاً يطوف عليها بنوبة اربعة آلاف حارس يتقذون من القسطنطينية من حضرة الملك
فيضمنون حراسة البلد سنة ويستبدل بهم في الثانية وشكل البلد كنصف دائرة قطرها
يتصل بجبل والسور يصعد من الجبل الى قلته ويستقيم دائرة وسف رأس الجبل داخل
السور قلعة تبين بعدها من البلد صغيرة وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها
الا في الساعة الثانية وللور المحيط بهادون الجبل خمسة ابواب وفي وسطها قاعة القسياني
وكانت دار قسيان الملك الذي احيى ولده بطرس رئيس الحوار بين وهو هيكل طوله مائة
خطوة وعرضه ثمانون وعليه كنيسة على اساطين وداير الهيكل اروقة يجلس فيها القضاة
للحكومة ومعلمو النحو واللغة وعلى احد ابواب هذه الكنيسة فجان الساعات بعمل ليلاً
ونهاراً دائماً اثنتي عشرة ساعة وهو من عجائب الدنيا وفي اعلاه خمس طبقات
سيف الخامة منها حمامات وبساتين ومقاصير حسنة وشجر منها المياه وهناك من
الكنائس ما لا يحصى كثرة كلها معمولة بالقص المذهب والزجاج الملون والبلاط المزجج وفي
البلد بيارستان يراعي البطريك المرضى فيه بنفسه وفي المدينة من الحمامات ما لا يوجد
مثله في مدينة من اللذابة والطيبة فان وقودها من الآس وماؤها سيج وفي ظاهرها

نهر يعرف بالمقلوب يأخذ من الجنوب الى الشمال وهو مثل نهر عيسى وخارج البلد دير سمعان وهو مثل نصف دار الخليفة يضاف فيها المجتازون يقال ان دخله في السنة اربعمائة الف دينار ومنه يصعد الى جبل اللكام وفي هذا الجبل من الديارات والصوامع والبساتين والمياه المتفجرة والانهار الجارية والزهاد والسياح وضرب الفواقيس في الاسحار والحن الصلوات ما يتصور معه الانسان انه في الجنة . وفي انطاكية شيخ يعرف بابي نصر بن العطار قاضي النضاة فيها له يد في العلوم مليح الحديث والافهام وخرجت من انطاكية الى اللاذقية وهي مدينة يونانية ولها ميناء وملعب وميدان للخيول مدور وبها بيت كان للاصنام وهو اليوم كنيسة وكان في اول الاسلام مسجداً وهي رابطة البحر وفيها قاض للمسلمين وجامع يصلون فيه واذان في اوقات الصلوات الخمس وعادة الروم اذا سمعوا الاذان ان يضربوا الناقوس وقاضي المسلمين الذي بها من قبل الروم . ومن عجائب هذا البلد ان المحتسب يجمع القحط والغرباء المؤثرين للفساد من الروم في حلقة وينادي على كل واحدة منهم ويزيد الفسقة فيهن ليلتها تلك ويؤخذن الى الفنادق التي هي الخانات لسكنى الغرباء بعد ان تأخذ كل واحدة منهم خاتماً هو خاتم المطران حجة بيدها من تعقب الوالي لها فانه متى وجد خاطباً مع خاطبة بغير ختم المطران الزمه جنابة . وفي البلد من الحبساء والزهاد في الصوامع والجيال كل فاضل يضيق الوقت عن ذكر احوالهم والالفاظ الصادرة عن صفاء عقولهم واذهانهم اه . »

وبعد فان تاريخ التفطحي من الكتب التي اجاد فيها مصنفها حري بان يستفيد منه كل متأدب ومتعلم ويرجع اليه كل عالم ومؤرخ سلس العبارة جميل المأثي ينقل الامور على علاقتها في الاكثر بدون تقيص لها او ابداء رأي فيها وابن ابي أصيبعة يفوقه في رد كل قول الى قائله وضبط الاعلام والتدقيق في التواريخ واخبار الرجال وذكر شذور من شعرهم ونثرهم والكتابات كفرنسي رمان او كالسلسلة المفرغة لاندري ابن طر فاها



الصحف والنجاح

للنجاح في الاعمال اسباب كثيرة منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي اذا اختل احدها تعذر النهوض بالشئ الآخر . وانشاء الجرائد والمجلات لا يخرج عن هذا الحد المقرر وهل في الارض عمل لا يحتاج الى علم وتجارب ومال واستعداد . واظالمنا رأينا مصر في الثلاثين سنة الاخيرة والشام في عهدها الدستوري الجديد وغيرهما من الافطار والامصار التي يتكلم اهلها بالعربية تتجرأ على اصدار الصحف بدون حساب ولا روية وادر كما العامة اجراً من الخاصة على اقتحام هذا المركب الصعب وليس لديهم في الاغلب من وسائل النجاح كبير امر فلا يلبث ما ينشئون ان يظهر الى الوجود حتى يخفي اضطراباً لا اختياراً . وهذا هو السبب في تعدد الجرائد وقصر اعمارها واشتزاز الناس منها اذ توهموها بما تمثل لهم من حال بعض من اقدموا عليها آلة للتكسب والتدجيل لا اداة للوعظ والارشاد والتعليم مارأينا صناعة من الصناعات استسهل الناس امرها كالصحافة فلم يعهد معلم في التجارة او الحداثة او البناء او الهندسة يحترف هذه الحرف بدون سابق دراسة ويتصدّر للاعتياش منها وهو لا يعرف من اسرارها سرّاً ولكن فن الصحافة في هذه الديار الذي يتوقف النجاح فيه على اسباب كثيرة اشبه العلم والتجربة والمال قد رأينا اناساً من الانعام يدعونه بدون خشية واكثرهم لا يعرفون قراءة الجرائد والمجلات دع عنك تأليفها واصدارها كان جمهور الناس الى عهد قريب يشارك الاطباء في طبهم قري الكبير والصغير اذا عرض لهما مريض من خاصتهما وعارفهما لا يتوقفان في وصف علاج يشفيه مدعيين ان ذلك من مجرباتهم او مجربات اصحابهما ولما كثر الاطباء واستنارت الامة بعض الشئ خفت هذه العادة في التعدي على الاطباء في طبهم الا عند الطبقة الجاهلة اما الصحافة فيدخل فيها بالفعل اناس ليسوا منها وليست منهم ويصفون للامة ادوية تقبها الاسواء والارزاء والادواء ويعترضون على العالمين والحكامين والسلاطين بلا خشية ولا حياء كأن طب الارواح ليس اصعب من طب الاشباح او كأن الصحافة من العلوم الدنية لا الكسبية يتعلمها المرء بالدوق وتوحى اليه ايجاء .

من اجل هذا استقرت الامة الصحافة لما رأت من ضعف كثير من ادعيائها في اخلاقهم وعارفهم ممن شاتوا اسمها وعيوا بها فاحذرنا الى طمع بئالونه وصيت بالباطل بحصوله ومقام عال ينزلونه . نعم لم نشهد العطار يطاراً ولا الاسكاف نجاراً

ولا الخطاب رسالاً ولا الفحam نظاماً ولا الجوهرية حجاجاً ولكن شهدنا الفلاح صحافياً والمتشدق مؤلفاً والثرائر محامياً والمكشار خطيباً كما شهد الاغبياء قد يحاولون بلوغ درجات الاذكياء والفقراء يقلدون الاغبياء.

بيد ان سنن الفطرة التي لا تغالب ونظام هذا الكون البديع الذي فلما اختل يعاقبان المعتد به على ما لا يعلم بما جنته بداه كما قيل في الامثال الافرنجية كل خطأ يحمل عقوبته فيه . وندر جداً في الناجحين من تيسر لهم الوصول الى ما وصلوا اليه الا بالتخاذل الذرائع المتنجحة ونسج حلل مجدهم بايديهم

رأينا كثيراً ولا سيما في مصر والشام انتصقوا بالصحافة وانفقوا ثرواتهم في سبيلها فلم ينجحوا في مساعدهم ورجعوا بعد العناء الطويل وخسارة الماله صفر الابدعي خائبين لان مائدة العلم لا يجلس اليها طفيلي ولان التزويده ان صعب في عمل فهو في الاعمال العلمية اصعب .

من ذلك رجلان اثنان صرف احدهما في تأميس الجرائد بضعة الوف من الجنيهات والاخر بضع مئات من الليرات وبعد العمل سنين ومحاولة التبحر ولو بالتلون في المبادي وقلب الحقائق وتقييع ما يستحسن واستحسن ما يستهجن والظهور في مظهر المصلحين الغيوريين بعد كل هذا اضطروا الى الرجوع ادراجهم ولو كانوا صرفا ربيع مابذلاء في هذا السبيل على درس فن الصحافة على اصوله وتلفناه كما نلتفن الصناعات المبهمة ويدرب عليها المشتغلون بها لكان النجاح مقصوراً لا محالة .

ولقد شاهدنا عياناً ان معظم الصحف التي كتب لها البقاء في هذين القطرين الشقيين خاصة هي التي قام باعبائها اناس متعلمون تخرجوا في الكتابة وتدريبوا في السياسة وتذوقوا لمساظة من العلوم التي لا يسع صاحب جريدة ومجلة جهلها . ومعظم من لم يخادتهم مايسعون بالتزويق اخفقوا لاسباب ناشئة من ضعفهم وقلة معارفهم في صناعة يلزمها ما يلزم لكل صانع من الادوات ان لم تقل انها تتوقف على ادوات اكثر .

وهنا مجال لان ننصح للبيان المتوسمين في الكتابة الراغبين في الشهرة ان لا يقدموا على الدخول في معترك الصحافة والسياسة والاداب قبل ان يستتروا الادوات ويستمدوا لها ويتخرجوا بها مائة فالاجادة في مقالة يكتبها كاتبها في ايام ورعاية لونه غيره في تلقين موضوعها وتقويم اصولها وفروعها لا يتأتى منه الاجادة في كل موضوع ودعوى كل علم . والنشر

والطبع مما ترغب فيه النفس والنفس غالباً تميل الى نيل المحمدة والذهاب بفضل الشهرة والعامل على اي حال من انهم نفسه وحاسبها ولو يسيراً حتى لا يكون كل من يخطط سطرين مغروراً بهما كمن هو بابنه وبشعره مفتون . وبعد فان قانون المطبوعات العثمانية الجديد يقضي على من يصدر جريدة او مجلة ان يحسن الكتابة باللغة التي يصدر بها صحيفته ليعلم ما يكتب فيها ولو كان قومنا ببالغون في انتقاء الرجال للاعمال لوضع في قانوننا بند يلزم كل من تصدر لمعانة صناعة القلم ان يمتحن في الفن الذي يتخوض عابه كما يمتحن المتطهرون والصيدالة فاشاء الصحف ان لم يكن احق بالعناية من معرفة الامراض والعلل والعقاقير فلا اقل من ان يكون على مستواها فكم من جاهل قتل نفسه زكية ومن صحافي جرع قراء السم الزعاف على حين ينتظر منه الترياق النافع

سِيرُ الْعِلْمِ وَالْاجْتِمَاعِ

الجرائد في سلانيك

بيك عصر — جريدة تركية يومية تصدر بعد الظاهر أسست قبل خمس عشرة سنة وكانت تسمى «عصر» الى ان جاءت الحرب فزادت كلمة بيك بمعنى جديد فصارت بيك عصر . تباع في يومها مقدار ثلاثة آلاف نسخة روم ايلي — جريدة تركية يومية أسست هذه السنة ولها من المشتركين مقدار ستائة وتبيع خمسمائة تقريباً فيكون ماتصرفه مقدار الف ومائة ولسوف تروج سوقها لاسباب لا نريد ذكرها

زمان — جريدة تركية يومية أسست بعد اعلان الدستور بقليل ثم عطلت ثم نشرت قبل ايام فلائيل ولذلك لا تعلم مقدار ماتصرفه على اني ولو عرفته فلا يتخذ مقياساً لانها بنت عشرة ايام .

سلاح — جريدة تركية تصدر الاثنين والاربعاء والسبت ثلاث مرات في الاسبوع ولا يبعد ان تصير يومية يباع منها في البلدة مقدار الف نسخة ويرسل الى مشتركيها الف وخمسمائة فيكون مجموع ما تنظمه (٢٥٠٠)

مأمورين — جريدة تركية تصدر في الاسبوع مرتين تخص المأمورين فقط كما يظهر من اسمها

بانجه (جنينة) — مجلة سياسية ادبية اجتماعية تنشر بالتركية في كل نصف شهر مرة
وثمناها قرش واحد . قليلة الفائدة قليلة الراغب تحتوي على ١٦ صفحة
حسن وشعر — مجلة تركية تصدر كل خمسة عشر يوماً مرة لاطلاوة لا آدابها الا
ماقل وثمناها قرش واحد

وطنداش — جريدة تركية تنشرها جمعية الاتحاد والترقي ترسلها الى اهل القرى مجاناً
تصدر كلما اقتضى الحال . وهذه الجريدة تبحث عن الاتحاد والترقي خاصة بلسان يفهمه
القروي وفيها من المواد ما ينفع القروي في حقله وزرعه .

فاروس تيس نسالونيكيس (منار سلايك) — جريدة رومية يومية أسست سنة
١٨٧٤ ميلادية تباع في سلايك مقدار ستائة نسخة ولها من المشتركين مقدار سبعمائة
فيكون المجموع ١٣٠٠

أمستير (النجم) — جريدة رومية يومية أسست هذه السنة تباع الفاً في سلايك
وترسل لمشتريها الفاً فيكون المجموع (٢٠٠٠)

قونوفي (البرغش) — جريدة رومية اسبوعية لصفا منظوم وهو القسم الاول حتى
العنوان وشرائط الاشتراك ونصفها منشور وكأها هنل أسست قبل سنة وياع منها
الف نسخة

نهآ اليثيا (الحقيقة الجديدة) — جريدة رومية يومية أسست سنة ١٩٠٣ ميلادية
باسم اليثيا (حقيقة) ثم بعد الدستور ضم لها نهآ (جديد) .

يباع منها في سلايك الف وخمسمائة مع مشتركها في هذه البلدة ويرسل لمشتريها
في الاطراف الفان وخمسمائة فيكون ما تصرفه ٤٠٠٠

بدلوس (ببدل ٥) (سهم) — جريدة رومية اسبوعية هنلية أسست هذه السنة
تبيع مقدار الف نسخة

ابوكا (زمان) — جريدة يهودية (*) يومية أسست سنة ١٨٧٣ ميلادية ولها من
المشاركين في سلايك ستائة وتبيع فيها مقدار الف وخمسمائة ومشاركوها في الاطراف
سبعمائة فيكون مجموع ما تصرفه ٢٨٠٠

(*) لسان اليهود في سلايك لسان الاسبانيين وحروفهم قريبة من العبرانية
وليست هي .

الامبريال 'l'impartial' - جريدة امرايالية يومية . أسست سنة ١٩٠٨ ميلادية تباع مقدار الف نسخة

قرباج (سوط) - جريدة يهودية اسبوعية هنزلية أسست هذه السنة فكانت رغبة الناس جميعهم ولذلك تباع مقدار ستة آلاف نسخة

الآنير (المستقبل) - جريدة يهودية تصدر يوم الاثنين والاربعاء والجمعة تباع مقدار الف نسخة . أسست قبل ثلاث سنوات

ره وانا بوبولار (مجلة العوام) - مجلة يهودية - يومية تنشر في ادارة ما قبلها وتواصل معها يوم الجمعة .

و يرفوز يكو (شيطان) - جريدة يهودية اسبوعية هنزلية لم تنل الرغبة مثل اختها قرباج

لانايسون (الامة) - الاسم الفرنسي ولكنها جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة

لاتريونالير (الحكمة الحرة) - جريدة يهودية اسبوعية يباع منها مقدار الف نسخة

جورنال دوسالونيك (جريدة سالنيك) - جريدة افرنسية محررها امرايالي أسست قبل ١٥ سنة تصدر الاحد والثلاثاء والخميس تباع في سالنيك الف نسخة ولها

فيها سبعمائة مشترك ولها في اطراف اربعمائة مشترك فيكون مجموع ما تصرفه ٢١٠٠ نسخة بروغره دوسالونيك (رقي سالنيك) - جريدة افرنسية يومية محررها من اهل

سالنيك أسست قبل ١١ سنة يباع منها مقدار الف نسخة كان للبلغار ثلاث جرائد قل مشروها فحسرت فتعطلت جميعها

واما اهل سالنيك فلا يزيدون عن مائة وخمسين الفا وقد كنت احب ان اقايس اهل الشام وجرائدهم بأهل سالنيك وجرائدهم وحبهم المطالعة لاسما وبأنهم كل يوم

من جرائد استانبول مثل طنين واقدام وصباح ويكي غزته مالا يمكن حصره ولكن لاعلم لي بمقدار اهل الشام ولا بجرائدهم ولا بمقدار ما يصرف منها قبل لاحد الفضلاء ممن

يعرف ذلك ان يتخذ هذه العجالة اساسا ويتحققا بالمقايسة ؟ سالنيك ر . ب

التربية العقلية

وضع احد اساتذة المدارس الجامعة في فرنسا كتاباً في التربية العقلية قال فيه بشأن تعلم الانشاء ان افضل طريقة يتخذها المعلم في تعليم تلامذته ان لا يقترح عليهم كتابة موضوع بدون ان يدلهم على الطريق التي يجب عليهم سلوكها لان الافضل في نظره ان تتدارك اغلاطهم قبل وقوعها من ان تصالح بعد كتابتها فان نقد الانطباع عقيم في الاكثرولا يخلو دائماً من الضرب على سندان واحد فلاجل الفائدة من التصليح يجب ان يكون في « الوظيفة » والفرض بعض الميزات الابتدائية والاجدر ان تقرأ للمتعلم قطع من اقوال الغير في الموضوع الذي يتقضى عليه كتابته . قال ان من الصعب تعليم الاولاد ان يكتبوا او يحكموا كتابة صحيحة وحكماً صحيحاً ولكن من الممكن تلقينهم كلهم معنى النظام وحسن السياق وذلك بتأني بدرس ما كتبه الكاتبون حتى دراسة وتحليله وبيان مزاياه ومثانة تراكيبه . ومضى ثم لزم ان يعرف ماحوت كتابة كبار الكتاب من الحسنة يوشك ان يقيض على سر الانشاء

المدرسة والاخلاق

وضع احد علماء الالمان كتاباً في التربية الاخلاقية قال فيه ان الواجب في تعليم الاطفال ان يدربوا انفسهم بانفسهم وان يعلمهم معلوم كيفية التوفيق بين شخصيتهم الروحية وشخصيتهم الحسنة فيباحثوهم في موضوعات في الاخلاق الشخصية او الاجتماعية ذات ارتباط كلي بحياة التلامذة انفسهم وان يعودوا في المدارس الى القول بعدم المركزية اي الحكومة المستقلة بحيث يعدون الطفل للديمقراطية العملية ويكون ذلك للمتقدمين من التلامذة

غاية التربية

قال استاذ التربية والتعليم في كلية براين ان غاية التربية تقوية حواس الشخص ما يمكن مع احترام الخلق الطبيعي وشخصية الافراد فالواجب ان نحكم فيه قوة الانتباه والتفكير والذاكرة ولا نعجل في استئثار عقله . وهو يشدد كثيراً في تربية الارادة لانها اعم من كل شرح وتفصيل في تربية اخلاق المرء
آثار عربية

ظفر البارون ماكس فون اوبنهايم اثناء سياحاته في الشرق على عدة كتابات استخراج بعضها ودفعها الى علماء الآثار ليجلوها ومن حملتها ١٩٦ اثراً عربياً حلها المسيو برشم

ونشرها في كتاب خاص ومعتلها لم يعرف وهي مما عثر عليه السائح الالماني من جنوبي بحيرة حمص الى دمشق ماراً بقلعة الحصن ومصبات وحمة وقنسرين وحلب والزها (اورفه) وماردين وديار بكر والبيزة وعينتاب وآذنة وطرسوس وقرهمان وقونية ويرد تاريخ معتلها الى عصر استيلاء المماليك على مصر ومنها ست كتابات من عهد الخليفة المنصور في ديار بكر تاريخها سنة ٢٩٧ من الهجرة وبعضها من عهد سيف الدولة ابن حمدان في حلب من سنة ٣٥٤ ومنها اثر وجد في دمشق من عهد السلطان طوطش السلجوقي (٤٨٠) وآخر في سلية من عهد الامير خلف ٤٨١

علم نفس الطفل

الف احد علماء سويسرا كتاباً في تربية الاطفال وتعليمهم قال فيه : ان الطفولية يجب ان ينظر اليها بانها باب الاستعداد للحياة وتختلف مدة الطفولية بحسب درجة كمال النوع فكلما اعتبر تماماً اي حافلاً غنياً بالمقاومات يطول طور الطفولية وعبثاً يربد المرء اختصار هذا الطول لان الفطرة سمت هذا الدور من نقص التركيب بالف واسطة وكلما كانت الطفولية قصيرة يكون ترقى الطفل قاصراً . وتكلم على لعب الطفل فقال انه بالنسبة للطفل من اهم المعدات لاستقبال الحياة فاننا نرى اللعب حتى في الحيوانات سارياً بحسب قوائم الطبيعية فالهرة الصغيرة تلعب بكرة من الورق كما تلعب بغارة والجدي بتظاهره بأنه يناطح في حين ليس له قرون وكذلك الحال في الطفل فان الالعاب على اختلاف ضروبها هي استعداد للعمل القانوني الذي يعمل به يوم يبلغ اشده فمن كتب له ان يكون صالحاً في طفولته يكون رجلاً تام الادوات في رجولته والطفل الذي رزق السلامة في اعضائه والعمل لما يعد جسمه للشاق افضل واقدر في جهاد الحياة ممن يعملون الشهادات العالية التي تنبئ بدرسهم واستنهارهم فاللاعب باعث قوي في غو الحواس بمد كل ما نشأ من النشاط وهو يشترك مع الفكر القوي في سن الفتوة فالواجب ان يترك هذا التصور بأخذ مأخذه كما يشاء . ويضاف الى ذلك رغبة الطفل في النظر والسؤال فينبغي ان لا يضمن الابوان بالجواب على اسئلة يسألها الابن هذا في سن الطفولية اما في سن البلوغ فان التقليد من اكبر ادوات الارضاء فالبالغ يقلد عند الاقتضاء ليسهل التوفيق بينه وبين المطالب العالية والطفل يقلد في لعبه وهذا اللعب مما يفيد . والمهم في ذلك ان يطبق اعماله على محيطه وان يقوي قواه ويعلم معلومات جديدة وينمو على الدوام غواً طبيعياً واخلاقياً وهو يرتقي هذا الترقى اذا قابل بنفسه المصاعب

التي يجب عليه التغلب عليها وتناول بنفسه المعارف اللازمة والاسرار التي يقضى عليه كشفها وسبر غورها . وقال ان علم التربية والتعليم (يبدأ كوجيا) هو علم معرفة درجات النشوء الطبيعي في الطفل واستخدام كفاءاته القطرية لتفقيتها .

سن تعليم القراءة

يبدأ الاولاد بتعلم القراءة في انكلترا في السنة الثالثة وفي سويسرا بين الخامسة الى السابعة بحسب المقاطعات وقد بدأ « اميل » روسو في الخامسة عشرة . وبحسب احدهم بحثاً دقيقاً فبين له ان الطفل يتعلم القراءة في الاكثر بسرعة بين السابعة والثامنة وتقل السرعة بين السادسة والسابعة وان الاظهر في هذه الحال ان يبدأ في سن السادسة بتعلم القراءة . وأكدت مديرة مدارس الاملات في فرنسا ان تعليم الولد قبل السادسة يضر جداً به ولكنها سمحت بأن يقرأ الاولاد بين الخامسة والسادسة من اعمارهم نحو عشرين دقيقة فقط وقالت ينبغي ان يبدل الطفل على الكلمات التي يقرأها ولا يكتفي بتكرارها فقط اذ تشتغل في تلك الحال ذاكرته فقط وان يقرأ بصوته العادي بدون ان يعرفه وان تستعمل له الالفاظ المستعملة نفسها بدون الفاظ مجهولة

انتظام التجارة

ثبت ان التكافل النامي في المصالح المادية بين البشر واضطرار كل بلدة ان تطلب المواد الاولى والمواد التي تفرغ في قالب آخر اوتبحث عن مصرف لبضائعها وحاصلاتها في البلدان الاخرى كان من ان عدل النظام التجاري العام تعديلاً كبيراً لاسيما وقد اصبح اليوم طول سكك حديد الارض مليون كيلومتر وكان سنة ١٨٧٠ مائتي الف كيلومتر فقط واصبحت السفن تحمل اليوم ٣٠ مليون طن وكانت سنة ١٨٧٥ لانفعل غير ٣٠٧٠٠٠٠٠ طن وعدد الاسلاك البرقية البحرية ١٤٠٠ ولم يكن سنة ١٨٦٦ سوى سلك واحد فكيف تكون الحال يانزي عندما لا البحور والبحور بالسفن والسكك والاجواء بالطيارات

التربية المشتركة

كتب احد العارفين في مجلة « الاسبوع الادبي » في جنيف مقالاً في معنى تربية البنين والبنات في مدرسة واحدة فاردت عدة امثلة ثابتة الفضية هذا النوع من التعليم ولاسيما لما شوهد من نتائج الحسنة في انكلترا وقال ان تربية البنين معاً ولاسيما في المدارس الداخلية (كذا) اقل خطراً من تربية كل جنس مع ابناء جنسه . ومن شروط

النجاح في ذلك ان يؤخذ الاولاد صغار السن جداً أو يتركوا يعيشون ابداءً معاً ويطرحون العناصر التي لا يمكن التوفيق بينها فيربي الاولاد والشبان في مدارس الفلاة حيث تسلم الحياة من الشوائب واخلق الجد تكون احسن اثرًا وان يسلموا الى مربين تخرجوا على اصول الحديثة في علم النفس فيربي كل جنس بحسب طبيعته وما ينتظره في حياته من الواجبات

الولادات والوفيات

كانت الولادات ازيد من الوفيات سنة ١٩٠٨ في اكثر ممالك اوربا فبلغت الولادات في ألمانيا ٨٧٩,٥٦٢ والوفيات ٧٩٥,١٠٧ وفي النمسا ٣١٣,٦١٦ و٣٠١,٩٣٦ وفي المجر ٢٣٩,٧٦٠ و٢٢٨,٣٣٨ وفي البلجيكي ٦٤٨,٣٢٧ و٦٧٣,٠٥٠ وفي انكلترا وغانيا ٤١٩,٩٢١ و٣٤٦,٨٤٧ وفي بلاد القاع او هولاندة ٨٤٤,٩٢٦ و٧٥,٩١١ وفي ايطاليا ٣٦٨,٦٦٧ و٣٨٥,١٦٥ وفي تروج ٢٧,٦٠٠ و٣٠٤,٥٠٠ وفي السويد ٤٤,٣٠٤ و٥٨,٤٠٧

الهند البريطانية

وضع احد علماء فرنسا كتاباً في الهند بعد درس عشرين سنة فقسها قسمين قسم مساحتها مليونان وستائة الف كيلومتر مربع وكذا ٢٣٢ مليون نسمة. وهذا القسم يحكم عليه انكلترا مباشرة وقسم مساحته مليون وسبعائة وخمسون الف كيلومتر مربع مسكانه ٦٢ مليوناً ونصف مليون وهذا القسم يحكمه راجات الهند والزعما المحليون المحالفون للعرش البريطاني ولم يستشارون انكليز. ومناخ البلاد بالطبع مختلف باختلاف الاصقاع فاقليم راجبوتانا رمال تبعث الحرارة المدهشة في الصيف وتجلد الميهام في الشتاء. ومسألة المياه اهم ما في الهند من المسائل وقد اقام الانكليز في اقليم بنجاب اعظم آلات الري في العالم ويقدر عدد من يهلك كل سنة في الالف ٣١ منهم ١٩ بالمخى. والسكان طوائف فكل طائفة تخرج منها اناساً ولكن لا تدخل اليها احداً وكان عددهم منذ نحو خمسين سنة لا يتجاوز المئتين فاصبح اليوم ٢٣٧٨ تقسم بين ٤٣ عنصراً وتابعة. ومنها اربع طوائف بتألف منها ١٦ في المئة من الشعب الهندي وهي طبقة البراهمة وعدد اعضائها ١٤,٨٠٠,٤٠٠ والشاماريين ١١ مليوناً وكل واحدة من الراجابوتيين والامهيين ١٠ ملايين والطبقات الكبيرة تسحق الصغيرة والظاهر ان المناخ مؤثر جداً في السكان حتى اصبحوا الى الكسل اقرب منهم الى

حياة العمل وكل واحد يريد ان يعمل له وهو مستريح فنجد في كل خمسة رجال يعملون بحسب الظاهر واحداً لا يعمل شيئاً اصلاً وواحداً يستريح وآخر ينام وآخر عاوى فالارض تؤجر من كبير الى اصغر وتتعاور هالايدي بالايجار وكثرة الديانات تزيد الاعياد وايام الراحة والناس لا يرجحون ولا ينظرون في المستقبل والقائض فالحش جداً عندهم ولذلك ترى المربين في خطر ابداً من السلب والقتل على ان الفلاح اقرب الى الاتفاق مع المربي من جباية الاموال لان الضرائب ثابتة لا تتغير بحسب جودة المواسم وعدمها ولما اوقلت معينة لامناس من ادائها فيا ولذلك تراه عند الضائقة يعمد الى المربي فيستدين منه بفائض كبير وقد كان ثلث الفلاحين منذ ثلاثين سنة مدبرين على مل ان يخلصوا من ديونهم والثلاثان الاخران لا امل لهما بالخلاص حتى اضطرت الحكومة الانكليزية في بنجاب ان تسن قانون سنة ١٩٠٠ تنضي فيه على الفلاح ان لا يبيع ارضه الا من فلاح ولكن المربين كلهم اصحاب زراعات ولذلك لم يقل بيع الاراضي ولا رهنها . ولم تنفذ الحكومة هذا القانون في البلاد الاخرى . وقوة الحكومة البريطانية في الهند ناشي من كون امتلكوا تحكم عناصر مختلفة من السيجيين والمسلمين والمهاراتيين والهنود والبرمانيين وكلهم يتحاسدون بينهم وبتفصل بعضهم عن بعض في الجنس والعادات والاديان ولذلك كان من الصعب انراهم كلهم في منافع الادارة على قدم المساواة وعدد المسلمين هناك ٦٢ مليوناً والهنود ٢٠٧ ملايين وكان المسلمون حكام البلاد مدة قرون لذلك يحرقون المسابقات التي تجري للدخول في الوظائف اما البراهمة فيتسابقون اليها

تربية العتل

ألف الدكتور تولوز الفرنسي كتاباً في هذا المعنى قال فيه ان النظر افيد للمرء من البحث والدرس في خزائن الكتب والقرن على الحكم في الامور الواقعة خير من املالة الذهن بتعارف ميتة لا يحصل لها والعمل خير من التصور والحركة افضل من التحيل وتكلم فيه على ضرورة العمل للانسان فقال يجب ان يعمل المرء ان يعمل لا ان يعيش ليعمل وان الراحة الحقيقية هي في الانقطاع بضعة اسابيع عن العمل كل الانقطاع بعد قضاء زمن في الجهاد والجد لاني تعديان العمل وتخفيفه

جلطة الاولاد

نبين ان السبب في تشويه اجسام الاولاد اسعداوم الكلي للجلوس على مقاعد

كيفاً اتفق وان البحث قد اثبت بان في كل خمسة ملايين طالب يخرج ٥٧٠ الفاً مشوهين في اجسامهم واحسن واسطة لانقاذ ذلك اجلاسهم على مناضد عالية بحيث لا يكادون يقدرون الا منتصبه قاماتهم وارجلهم تمس الارض وبذلك يتقوى هيكلهم العظمي على طبيعته ويتفنون تنفساً حسناً

الخطوط الحديدية في الارض

ظهر من احصاء اخير ان طول السكك الحديدية في القارات الخمس زاد في السنة الماضية ٢٥ الف كيلومتر فتجاوز طولها المليون كيلومتر منها اربع مائة الف في الولايات المتحدة وكندا ومئة الف في اميركا الجنوبية وستون الفاً في المانيا ومثلها في روسيا وخمسون الفاً في فرنسا وثلاثة واربعون الفاً في النمسا وثمانية وثلاثون الفاً في انكلترا وجميع الخطوط الحديدية في آسيا لا تتجاوز الخمسة والتسعين الف كيلومتر وفي افريقية احد وثلاثين الفاً وفي استراليا تسعة وعشرين الفاً

صحة المدارس

تكلم احد الخطباء في مؤتمر الفنون في المدرسة في نانسي احدى حواضر فرنسا في موضوع صحة المدارس فقال ان للنور دخلاً كبيراً في القراءة وان الواجب ان تكون حروف المطبعة ضخمة في الجملة وان يمتنى باختيار الالوان المفرحة في الجدران والمواظ على ويستغنى عن الالوان الباهتة القذرة كلون الشوكيولا والالواح الحجرية السوداء والالوان البيضاء الجانبية التي تجعل صفوف المدارس كأنها غرف مستشفيات بل الواجب تنوع الالوان والادهان على الطريقة المقبولة للاولاد فاللون الاحمر والازرق والبرتقالي مما ينفع النفس والنظر في الايام الممطرة الغائمة وتكون للنفس بمثابة شعاع الشمس قال والواجب الاكثار في المدارس من الزهور والورد تزرع كيفما اتفق في الافنية والمائمي ويعلم الصبي احترامها حتى لا يقطعها بمجرد وقوع نظره عليها كما يعلم مراعاة الحيوان

الاولاد المدخنون

حقق اساتذة هولنديون تأثير التدخين في الاولاد ثبت لهم مضاره في عقولهم واخلاقهم والمدخنون هم كسالى وناسدوا الامزجة والتراكيب ويزيد معدل المدخنين من الاولاد بالنسبة لحالة اهليهم من الرفاهية وعدمها

